الكتاب: نظرات في الكتب الخالدة
المؤلف: حامد حفني داود
الجزء:
الوفاة: معاصر
المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة
تحقيق: مراجعة وتعليق : السيد مرتضى الرضوي
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م
المطبعة:
الناشر: دار العلم للطباعة - القاهرة
ردمك:
ملاحظات:

نضرات في الكتب الخالدة

بقلم الدكتور حامد حفني داود
أستاذ كرسي الأدب العربي ورئيس قسم اللغة العربية
بجامعة عين شمس – القاهرة
وأستاذ الأدب العباسي بجامعة الجزائر حاليا
راجعه وعلق عليه
السيد مرتضى الرضوي
مؤلف كتاب مع رجال الفكر في القاهرة

الطبعة الأولى
١٣٩٩، ه - ١٩٧٩، م
القاهرة
دار المعلم للطباعة
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
قرآن كريم

(٣)

كلمة المؤلف
بسم الله الرحمن الرحيم

لم تكد تقع عيني على أحاديث الرسول الأعظم (ع) الداعية إلى الألفة والتوادد التراحم، والناهية عن التباغض والتشاحن والتشاجر والقطيعة وذات البين، حتى حبب الله إلى أن أسخر قلمي في التقريب بين السنة والشيعة، وقد ضاعف من هذا الميل اشتغالي بترتيب الأحاديث النبوية ترتيبا موضوعيا يستند على المتابعة، وحدها.

وفي هذه المعمعة المباركة من الدراسة الحديثية وقفت على موضوع جديد يوحي بالتقريب ويدعو إليه من طرف خفي كقوله: - فيما أرويه بالمعنى - من أصبح وليس همه الإسلام فليس من الإسلام في شئ، الأمر الذي ضاعف من هذه الرغبة ووطد من هذا العزم.

وحمدت الله سبحانه أن هذه الرغبة لم تكن مدفوعة لحظ دنيوي، أو جاه مصطنع، وإنما كان ذلك احتسابا لله تعالى، وكل أمر لا يكون احتسابا لله خالصا لوجهه لا يرجى له ثواب عند الله سبحانه.

ومن هذا المنطلق كتبت عشرات الأبحاث والمقالات في هذا الصدد بغية التقريب والتأليف.

وقد شارك في هذا الفضل الأخ الفاضل السيد مرتضى الرضوي الحسيني وأبى إلا أن يلم شتات هذه الأبحاث والمقالات في كتاب مفرد حيث زارني

في صيف عام ١٩٧٩، م حين عدت إلى القاهرة، وقد أطلعني على هذه المجموعة من المقدمات وطلب مني أن ينشرها باسمي مجموعة في هذا الكتاب بعد أن كتبتها بقلمي في فترات مختلفة.

وقد أضاف إلى هذه الرغبة أن تترجم إلى الفارسية والإنجليزية وغيرهما، فلبيت طلبه شاكرا له جهوده في نشر العلم والتقريب بين مذاهب أمة سيد الأنبياء والمرسلين.

والله من وراء القصد

القاهرة في ١٩،

من شوال ١٣٩٩،

المؤلف دكتور حامد حفني داود

- ١ -

تفسير القرآن الكريم

للسيد عبد الله شبر

بسم الله الرحمن الرحيم

(١٠)

علم التفسير من أقدم العلوم صلة بالتشريع الإسلامي هذا إذا نظرنا إليه كعلم من علوم الشريعة، أما حين ننظر إليه من زاوية: أصول الشريعة فهو أول علومها، باعتبارها تابعا، وملاصقا للقرآن نفسه.

وقد كان جبريل – عليه السلام – ينزل بالآيات القرآنية منجمة على صاحب الشريعة – صلوات الله وسلامه عليه – وكان يتدارس القرآن العظيم مع النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان من كل عام

وكان الصحابة بحكم ملابستهم لحضرة الرسول عليه السلام، وتأدبهم بآدابه وملازمتهم حضرته في غدوه ورواحه يفهمون ما ينزل من الآيات مرتبطة بأسباب النزول، وأحداثه وملابساته

وكان عبد الله بن عباس من النفر القليل من الصحابة الذين دعا لهم الرسول بفهم الوحي والتنزيل.

وقد في هذا الاستعداد في نفس ابن عباس كذلك ملازمته للإمام علي ابن أبي طالب – بعد انتقال حضرة الرسول إلى الرفيق الأعلى،

وعلي كما نعلم باب هذا المنهل الفياض من علوم النبوة، وواضح حجر الأساس في الحضارة الروحية الإسلامية في الحضارة الإسلامية.

ومن ثم كانت مأثورات ابن عباس ورواياته في تفسير آيات القرآن أول ما عرف من التفاسير التي تستند في جملتها على الحديث والأثر.

وإذا كان عبد الله بن عباس معدودا في الرعيل الأول مما عاصر الإمام علي رضوان الله عليه فإننا نعلم من ذلك أن للتفسير بالأثر والحديث النبوي من العلوم التي تفرد بها البيت النبوي، وعرف الأئمة قبل غيرهم، واختص بها ابن عباس بتوجيه منهم

فلما كان العصر العباسي وازداد اتصال العرب بحضارات الفرس والرومان واليونان، والهند وتلاطمت هذه الحضارات في العقل العربي كما تتلاطم الأمواج في المحيط الواسع - حدث الامتزاج الفكري، فعرف العرب الحضارة المادية من الفرس، ونظم الإدارة وأنواعها، ورأوا ما عليه المجوس من أخلاق وعقائد، وعرفوا من اليونان فلسفتهم، ومنطقهم وعلومهم القديمة واطلعوا على ما عند الهند من حكمة وروحانية.

وتمخض من هذا المزج العجيب عقل عربي مكتمل الجانب بزن الفكرة بميزان الشرع والعقل معا، ويجمع في أحكامه بين المنقول والمعقول وفي القرن الثالث والرابع الهجريين حين بلغت الحضارة الإسلامية مكان الذروة انعكست هذه الجوانب الفكرية في التشريع الإسلامي، فظهرت تلك الروحانيات الخالدة واضحة في علوم الإسلام الدينية، والاجتماعية، والإنسانية.

وكان للتفسير الحظ الأوفر من هذه الجوانب فتعددت مذاهب المفسرين، فمنهم من آثر جانب المنقول فاكتفى في الحديث والأثر، كما

فعل ابن جرير الطبري إمام المفسرين، والجلال السيوطي في كتابه: (الدر المنثور في التفسير بالمأثور)، وكما رواه البخاري في صحيحه.
ومنهم من جعل للمنطق، والجدل والفلسفة النصيب الأوفر من تفسيره مثل الفخر الرازي.
وكان اهتمام المفسرين بتفسير القرآن والكشف عن إعجازه باعثا قويا في تطوير علوم اللغة العربية نفسها.
وإن علوم اللغة العربية وما تشتمل عليها من متونها، ونحوها، وصرفها وكذا علوم المعاني، والبيان، والبديع تعتبر في الحقيقة ثمرة من ثمار الكشف عن وجوه إعجاز القرآن الكريم
أي أن محاولة الكشف عن الإعجاز كانت هي المباعث على نشأة علوم اللغة العربية، كما كانت هي السبب الرئيسي في تقدم هذه العلوم
وكما تلونت بعض التفاسير بالمناهج الفكرية، تلونت كذلك بالمناهج اللغوية البحتة، فكانت لبعضها غلبة الدراسات النحوية مثل: تفسير (البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي)
وبرزت في بعضها العناية بوجود (البلاغة) وفنون البيان وهو القدر الذي نلحظه في تفسير (الكشاف للزمخشري) ومن نحا نحوه من المفسرين
ومن المفسرين من آثر الاهتمام بإبراز (الأصول الفقهية) وما اشتملت عليه من عبارات ومعاملات كالقرطبي، وابن عطية، وابن العربي، والجصاص.
وفي عصرنا الحديث اتجه بعض المفسرين اتجاهين على طرفي نقيض:

اتجاه جعل علماؤه تفسيرهم (دائرة معارف عامة) يجمعون فيه بين المنقول والمعقول، ويؤلفون فيه بين علوم الشرعية، وعلوم الطبيعة كما فعل الآلوسي في تفسيره - كما إنه كثيرا ما تختلط في هذا النوع من التفاسير الصحيح منها بالتقسيم فما يجعل للإسرائيليات مجالا فيها، مما يجعلها بعيدة عن الثقة، فتكون قابلة للطعن والرفض

أما الاتجاه الثاني فقد راعى فيه أصحابه حاجة أهل العصر إلى فهم القرآن والوقوف على معانيه من أقرب سبيل دون الاسهاب في التأويل مع العناية بالتركيز والإيجاز - وأرادوا من ذلك التيسير على القارئ العابر حتى لا يضيق وقته وجهده في مطولات لا حاجة له بها - إذا هي بالمتخصصين، والدارسين أجدر فكان من ذلك (المصحف المفسر للعلامة محمد فريد وجدي) والمصحف الميسر لفضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى (وتفسير فضيلة العلامة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية الأسبق)

والتفسير الذي نقدمه للقارئ الإسلامي في هذا السفر: نموذج رفيع لهذا النوع من التفاسير التي تجمع بين الإفادة والتركيز، وتعطي للقارئ معاني الآيات من أقرب طريق وأيسره

مميزات هذا التفسير:

وهو يمتاز على ما ذكرناه من التفاسير المعاصرة بمميزات كثيرة سنعرضها على القارئ فيما يأتي:

أما مؤلف هذا التفسير الجليل فهو العلامة السيد عبد السيد عبد الله بن السيد محمد رضا شبر الحسيني، من فرع الدوحة المحمدية الشريفة، وهو حسيني النسب،

وقد أشار إلى نسبه هذا في سند إجازته لراوي مؤلفاته العلامة محمد تقي الكاشف.
وقد تلقى علومه – في أول نشأته – على السيد والده محمد رضا شبر، كما درس على عالم عصره السيد محسن الأعرجي صاحب (المحصول) و (الوسائل)
ومن أجلاء شيوخه الذين أجازوه الإجازة بمروفاتهم ومؤلفاتهم وبالتدريس: العلامة الشيخ جعفر النجفي صاحب كتاب (كشف الغطاء في الفقه الجعفري) وهو جد البحر العلامة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء صاحب المؤلفات العديدة القيمة، ومؤلف كتاب: (أصل الشيعة وأصولها) وكتاب (المثل العليا في الإسلام)
كما تتلمذ على العلامة الحسيب السيد علي الطباطبائي صاحب (الرياض)
ولصاحب هذا التفسير مؤلفات عديدة ضخمة تبلغ السبعين كتابا ذكرت بالتفصيل في أثناء ترجمة المؤلف من الصفحات التالية
هذا عدا الكثير من المجلدات المطولة التي يشتمل عليها كل كتاب منها، وقد كانت كل هذه المجلدات من الإفاضة والإسهاب بحيث لو قسمت أجزاؤها على سني حياته التي لم تتجاوز أربعة وخمسين عاما لكانت تبلغ نحو كراسة عن كل يوم ولذلك لقبه أهل عصره (بالمجلسي الثاني)
ومن أشهر مؤلفاته المطولة:
كتابه: (مصابيح الظلام في شرح مفاتيح شرايع الإسلام) ومنها

كتابه (جلاء العيون في ترجمة أحوال النبي والأئمة عليهم السلام) (١)
ومن مؤلفاته التي نحا فيها نحو الأئمة من أعلام الشيعة كتابه: (أعمال السنة) ألفه على نمط (زاد المعاد) للعلامة المجلسي الأول
ومن مؤلفاته التي استرعت التفاتي: (رسالة حجية العقل، وفي الحسن والقبح العقليين.
ومن عنوان هذا الكتاب - الرسالة - نستخلص امتزاج العلوم العقلية والعلوم النقلية في منهج هذا الإمام المفسر الجليل
وهو نهج عرف به علماء الشيعة منذ الصدر الأول من الإسلام، وهو عين النهج الذي تلقفه عنهم رؤس المعتزلة، وزعماء علم الكلام
وقد أشرت إلى ذلك في كثير من المقدمات العلمية التي صدرت بها بعض كتب أعلام الشيعة (٢) وفيها عقدت الموازنة بين الحياء العقلية عند الشيعة، والحياء العقلية عند المعتزلة - وعللت في ذلك الصلة القديمة بين التشيع والاعتزال منذ الصدر الأول من الإسلام، وهو أمر لا يضير الشيعة في شئ، بل على العكس من ذلك يضفي على تاريخهم لونا من ألوان النضج الفكري، وينفي عنهم، ما يزعم الخصوم والأعداء من صفات الخرافيين، وسمات الحشويين
وقد جاء في ترجمة المؤلف، وفي ثبت مؤلفاته أن له تفسيرات ثلاثة للقرآن الكريم، وهي: الكبير، والواسط، والصغير

----

١ - طبع هذا الكتاب في النجف الأشرف - العراق وصور بالأوفست في طهران
٢ - أنظر مقدمة كتاب: (عقائد الإسلامية) المطبوع للمرة الثانية سنة ١٣٩٨ ه بالقاهرة وطبع بحجم كبير بالنجف الأشرف عدة طبعات.

وذكر في موضع آخر من قائمة مؤلفاته:
(التفسير الوجيز) وهو مجلد
ومن هنا نستنبط طول باعه، وسعة اطلاعه، وما بلغه من دقة، ودبة، وممارسة لهذا الفن الرفيع من علوم الشريعة
وقد أحسن (السيد مرتضى الرضوي) صاحب مكتبة النجاح بالنجف الأشرف – بالعراق الشقيق في اختيار نشر وطبع هذا التفسير الجليل لينتفع به العالم الإسلامي – دون غيره من تفاسير العصر الحديث
ونعني بالعصر الحديث في عرفنا نحن مؤرخي الآداب: الامتداد الزمني الذي يبدأ من مطلع القرن الثالث عشر الهجري – تقريبا – إلى اليوم
أما وجه الحسن الذي تعنيه، فإنه يدور حول منهج المفسر – العلامة شبر – حيث جمع في تفسيره بين الدقة في أداء المعنى، والإيجاز في إرسال العبارة وتحريرها على غاية الدقة
ولا زلنا نسمع في مجالس العلم – حتى اليوم – كلام العارفين بفن التفسير حول (تفسير الجلالين) وإعجابهم به حين يذكرون أنه للمنتهين، وليس للمبتدئين، ويعنون بذلك: أن ألفاظ الجلال السيوطي والجلال المحلى فيما جاء به من تفسير آيات القرآن الكريم أشبه بالمفاتيح والمصطلحات العلمية التي تقع تحتها معان كثيرة: تستغرق في تفصيلها مجلدات ضخمة
وإذا كنا نؤيدهم في هذا الحكم فإن تفسير (العلامة السيد عبد الله محمد رضا شبر) قياسا على المنهج الذي سلكه: يعتبر للمنتهين وللمبتدئين جميعا

أما عن كونه للمنتهين، فلأنه غاية في التركيز، والحرص على إيراد مصطلحات علم التفسير

وأما عن كونه للمبتدئين، فلأنه جاء في أسلوب سهل ميسر، يجمع بين منهج التبسيط، ومنهج التعليل، ولا يكاد يجد الناشئ، والمبتدئ مشقة في الوقوف على معنى الآيات لما فيه من الوضوح والبيان.

وميزة أخرى انفرد بها تفسير هذا الإمام، وهي عنايته المستقاة بالأداة القرآني في وجوهه المروية عن السلف، والمعروفة عند علماء القراءات فلا يكاد يرد أمامه لفظ من القرآن الكريم حتى يذكره في هامش التفسير مع ما له من وجوه القراءات عند علماء التجويد

ومن ذلك استطاع (المفسر رحمة الله) أن يجمع في تفسيره بين قراءة الإمام حفص وقراءات غيره من القراء.

ومبلغ علمي أن (الفسر رحمة الله) بلغ في هذا المناهج مبلغا لم يدركه فيه (العلامة النسفي) على الرغم من أنه من المفسرين الذين عنوا بإبراز وجوه القراءات، والمتخصصين في هذا العلم من التفسير

وفي ديباجة مقدمة (هذا التفسير) أشار المؤلف إلى كرامة بيت النبوة وأصالة معدنهم في المعارف الأخروية، والدنيوية، وأنه استقى من نورهم جواهر تفسيره.

وحين نتصفح هذا التفسير نلحظ بعين الفاحص المدقق أن (المفسر رحمة الله) وفي بما وعد، وأسند جواهر تفسيره، وجيد آرائه إلى معينه الأصلي من علوم الأئمة الاثني عشر.

ولا سيما الإمام الأول - علي بن أبي طالب رضي الله عنه - والإمام السادس - أبي عبد الله جعفر الصادق (ع) - صاحب المذهب الجعفري، وحامل لواء فقه آل البيت عليهم السلام

والعالم بهذا الفن يدرك لأول وهلة دقة (المفسر) وإمساكه بخطام هذه الصناعة وجمعه لأدوات المفسر

ولعلك وأنت تقرأ تفسير الفاتحة في تفسيره هنا وتوازن ذلك بما جاء في (تفسير الجلالين) تقف بنفسك على قدرات (المفسر) ولا سيما في الأصول اللغوية حين يرد لفظ الجلالة (الله) إلى أصله اللغوي، وحين يفرق - في حصافة منقطعة النظير - بين معنى اسمه تعالى (الرحمان) واسمه تعالى (الرحيم).

وحين لا يكتفي بالفروق اللغوية فيزيدك إيضاحا بما حفظه من نصوح وأدعية مرفوعة إلى أهل البيت النبوي.

وهو في ذلك كله سهل الجانب، معتدل العبارة، يسوقها في حماس العالم، وليس في ثورة المتعصب.

كما لا ينسى وهو يفسر أن يشرح الآية بآيات أخرى، وأن يذكر سبب النزول كلما دعا الأمر إلى ذلك وكان عونا له على توضيح المعنى المطلوب من الآية

وهكذا نلحظ هذا الصنيع في سائر عبارات التفسير الجليل

وقد اعتدنا نحن معاشر المؤلفين أن نعرف عن الناشرين - من حيث عملهم

الأساسي في صناعة النشر والدقة في إخراج الكتب التي ينشرونها في صورة أنيقة تليق بجلال التأليف، وشخصية المؤلف
ولكنني لاحظت في هذا التفسير أن السيد مرتضى الرضوي لم يكتف بواجبة كناشر، كما لم يكتف بإبراز (هذا التفسير) في الصورة اللائقة به فحسب وإنما تخطى ذلك ووقف من هذا (السفر الجليل) موقف الناشر العالم العارف بقيمة ما ينشره، وهو الموقف الذي يؤهله مستقبلا ليكون قدوة لغيره من الناشرين المعنين بالمكتبة العربية في العالم العربي كله فقد أضاف – مشكورا – إلى هذه الطبعة وهي الطبعة الثانية إضافات لم تكن موجودة في الطبعة الأولى، مما زاد من رونق هذا التفسير الجليل وقيمته.
وأولى هذه الفضائل الفنية، والأيادي البيضاء التي أسداها إلى (هذا التفسير) نشره له مصحوبا بالرسم القرآني للمصحف بوضع الصفحة القرآنية في صدر كل صفحة منه مزينة بالتفسير، مما يمكن الباحث والقارئ من العثور على ما يرجوه من التفسير، وموضع كل آية ورقمها من السورة المفسرة: فجمع بذلك للقارئ بين المصحف والتفسير في صفحة واحدة.
كما ذيل التفسير: بمعجم مفهرس لجميع ألفاظ القرآن الكريم – يعد هذا المعجم غاية في الدقة، وحسن التقسيم، والتبويب، وهذا مزية لم تكن موجودة في الطبعة الأولى، ولا في طبعات غيره من التفاسير القديمة والحديثة.
وهناك حسنة ثالثة – أربت على ذلك كله – وسوف أذكرها للناشر بالحمد والشكر دائما، كما سيذكرها الباحثون له بالثناء الجميل دائما، ذلك

أنه صدر التفسير بافتتاحه (بمقدمة تفسير آلاء الرحمن) للإمام المجاهد الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي (١) فقد أماط فيها اللثام عن معجزات الأنبياء في أممهم القديمة، وكيف كانت هذه المعجزات، مما يناسب هؤلاء الأمم ويساير ثقافاتهم، وأن القرآن الكريم هو أعظم هذه المعجزات، وقد جاء مناسبا لطبيعة العرب، لأنهم كانوا من أهل البلاغة واللسن والحذق في صناعة الأدب - إلى غير ذلك مما يستدل به الباحثون على دلائل الإعجاز في القرآن الحكيم ويشهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بصدق النبوة والرسالة، وأنه خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين إلى سائر العالمين، من أولي العزم.

وهذا ما يصدق عليه قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في محكم أحاديثه (ما من نبي إلا وأعطى ما مثله من آمن به البشر، إلا أنا فقد أعطيت هذا القرآن، وأرجو أن أكون به أكثرهم تابعا

وفي هذه المناسبة يسرني أن أنوه بمجهود فضيلة الشيخ حسن زيدان طلبة بإشرافه على تصحيح الطباعة وضبطها حيث شارك مشاركة فعالة محمودة بمقابلة فص هذا التفسير بالنسخة القديمة منه التي طبعت للمرة الأولى

---

١ - له آثار قيمة منها: الهدى إلى دين المصطفى جزآن، والرحلة المدرسية مجلد كبير وأنوار الهدى وأعاجيب الأكاذيب وحاشية على رسائل الشيخ الأنصاري وغيرها.

٢ - أخرجه البخاري في صحيحة بلفظ آخر من حديث أبي هريرة في كتاب: الإعتصام بالكتاب والسنة أنظر: البخاري ٩ / ١١٣ من طبعة السلطان عبد الحميد.

في طهران بمطبعة المجلس الملي في سنة ١٣٥٢ من الهجرة النبوية
أما الطبعة الأولى فقد طبعت عن نسخة خطية نقلها ناسخها محمد شفيع الحسيني في ١٢٤٧ ه ألف ومائتين وسبع وأربعين هجرية، أي بعد وفاة المؤلف بأربعة أعوام، وذلك من نسخة كتبت بخط المؤلف في عام ١٢٣٩ ه ألف ومائتين وتسع وثلاثين من الهجرة النبوية
وقد جاء في النسخة الخطية التي كتبها المؤلف بخطه في عام ١٢٣٩ ه، وورد ذكرها في ختام الطبعة الأولى المذكورة من هذا التفسير في الصفحة الأخيرة منه صفحة ١٢٣٩ ما نصه:
تم والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله في عشية الثلاثاء رابع جمادى الأول سنة ٢ (١٢٣٩ ه) تسع وثلاثة ومائتين بعد الألف على يد مؤلفه المذنب الجاني، والأسير الفاني، عبد الله بن محمد رضا الحسيني و (شهرته: السيد عبد الله بن محمد رضا شبر، غفر الله لها حامدا، مصليا، مستغفرا
ومن نسخة المؤلف - السالفة الذكر - قام الناسخ محمد شفيع الحسيني بتحرير نسخته الخطية المذكورة آنفا في عام ١٢٤٧ ه وهي النسخة التي طبعت عنها الطبعة الأولى من هذا التفسير المرقوم بين يدي القارئ - في طبعته الثانية هذه - وقد جاء في آخرها ما نصه من عبارة الناسخ المذكورة:
(وافق الفراغ من استنساخه في رابع عشر شهر جمادى الأول سنة ١٢٤٧ ه سبع وأربعين ومائتين بعد الألف على يد أقل العباد عملا، وأكثرهم زللا، تراب أقدام المؤمنين، داعي علماء الدين أقل الخليقة بل لا شئ في الحقيقة المذنب الآثم الغريق في بحار الجرائم، الراجي بالله

أما علماء الشيعة الإمامية فإنهم يبيحون لأنفسهم الاجتهاد في جميع صوره التي حدثناك عنها – ويصرون عليه كل الاصرار ولا يقفلون بابه دون علمائهم في أي قرن من القرون حتى يومنا هذا وأكثر من ذلك تراهم يفترضون بل يشترطون وجود (المجتهد المعاصر) بين ظهرانيهم و يوجبون على الشيعة أتباعه رأسا دون من مات من المجتهدين، ما دام هذا المجتهد المعاصر استمد مقومات اجتهاده – أصولها وفروعها – ممن سلفه من المجتهدين وورثها عن الأئمة كابرا عن كابر وليس هذا غاية ما يلفت نظري أو يستهوي فؤادي في قولهم بالاجتهاد وإنما الجميل والجديد في هذه المسألة أن الاجتهاد على هذا النحو الذي نقرأه عنهم يساير سنن الحياة وتطورها ويجعل النصوص الشرعية حية متحركة، نامية متطورة، تتمشى مع نواميس الزمان والمكان، فلا تجمد ذلك الجمود المضد الذي يباعد بين الدين والدنيا، أو بين العقيدة والتطور العلمي، وهو الأمر الذي نشاهده في أكثر المذاهب التي تخالفهم ولعل ما نلاحظه من كثرة عارمة في مؤلفات الإمامية وتضخم مطرد في مكتبة التشيع، راجع – في نظرنا – إلى فتح باب الاجتهاد على مصراعيه أما الثورة الثانية التي تلفت أنظار المفكرين وتغريهم إلى تتابع فرائد هذا المذهب وتحملهم على التعمق في مسائله هي مناقشة علماء الشيعة الإمامية مسألة (الحسن) و (القبح) في الأشياء، وهل الشئ الحسن حسن بذاته وبحكم طبيعته، أم هو حسن لأنه أمر به وأقره لعباده؟؟ وكذلك يقولون في الشئ القبيح، أهو قبيح لذاته وطبيعته التي أودعت فيه، أم أن القبح جاء إليه من تحريم الله سبحانه وتعالى له!!
فأنت حين تقرأ هذا وتتبع ما قاله المؤلف عن عقائد الإمامية بنفسك

٢ عقائد الإمامية

(٢٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢٦)

يخطئ كثيرا من يدعي أنه يستطيع أن يقف على عقائد الشيعة الإمامية وعلومهم وآدابهم مما كتبه عنهم الخصوم، مهما بلغ هؤلاء الخصوم من العلم والإحاطة، ومهما أحرزوا من الأمانة العلمية في نقل النصوص والتعليق عليها بأسلوب نزيه بعيد عن التعصب الأعمى.

أقول ذلك جازما بصحة ما أدعى بعد أن قضيت ردحا طويلا من الزمن أدرس فيه عقائد الأئمة الاثني عشر بخاصة، وعقائد الشيعة بعامة، فما خرجت من هذه الدراسة الطويلة التي قضيتها متصفحا في كتب المؤرخين والنقاد من علماء أهل السنة بشئ ذي بال وما زادني اشتياق إلى هذه الدراسة وميلي الشديد في الوقوف على دقائقها إلا بعدا عنها وخروجا عما أردت من

---

(١) الشيخ المظفر علم من أعلام الشية الإمامية ومؤسس كلية الفقه في النجف الأشرف بالعراق وله عدة مؤلفات مطبوعة منها: (المنطق) في ثلاثة أجزاء و (أصول الفقه) في مجلدين و (السقيفة) و (على هامش السقيفة) ودراسة مستفيضة عن الفيلسوف الكبير (صدر الدين شيرازي) و (عقائد الإمامية) نشرته مطبوعات النجاح بالقاهرة عام ١٣٨١ ه ١٩٦١ م وقد تكرر طبع مؤلفاته مرارا عديدة في العراق ولبنان والقاهرة وإيران وتعتبر مؤلفاته ودراساته مراجع للدارسين في حقل الثقافة الإسلامية، وله بالإضافة إلى ذلك مبحوث ودراسات في مواضيع فلسفية وتاريخية وغيرها

الوصول إلى حقائقها... ذلك لأنها كانت دراسة بتراء أحلت نفسي فيها على كتب الخصوم لهذا المذهب، وهو المذهب الذي يمثل شطر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

ومن ثم اضطررت بحكم ميلي الشديد إلى طلب الحقيقة حيث كانت، والحكمة حيث وجدت، والحكمة ضالة المؤمن، أن أدير دفة دراستي العلمية لمذهب الأئمة الإثنى عشر إلى الناحية الأخرى، تلك هي دراسة هذا المذهب في كتب أربابه وأن أتعرف عقائد القوم مما كتبه شيوخهم والباحثون المحققون من علمائهم وجهابذتهم

ومن البديهي أن رجال المذهب أشد معرفة لمذهبهم من معرفة الخصوم به، مهما بلغ أولئك الخصوم من الفصاحة والبلاغة أو أوتوا حظا من السن والإبانة عما في النفس

وفضلا عن ذلك فإن (الأمانة العلمية) التي هي من أوائل أسس (المنهج العلمي الحديث) وهو المنهج الذي اخترته وجعلته دستوري في أبحاثي، ومؤلفاتي حين أحاول الكشف عن الحقائق المادية والروحية

هذه الأمانة المذكورة تقتضي التثبت التام في نقل النصوص، والدراسة الفاحصة لها فكيف لباحث بالغا ما بلغ من المهارة العلمية والفراسة التامة في غير مصادرهم! إذن لا ارتاب في بحثه العلمي، وكان بحثه على غير أساس متين ذلك ما دعاني أن أتوسع في دراسة الشيعة والتشيع في كتب الشيعة أنفسهم وأن أتعرف عقائد القوم نقلا عما كتبوه بأيديهم وانطلقت به ألسنتهم لا زيادة ولا نقص، حتى لا أقع في الالتباس الذي وقع فيه غيري من المؤرخين والنقاد

حين تصدروا للحكم على الشيعة والتشيع وأن الباحث الذي يريد مجموعة ما من الحقائق في غير مصادرها الأولى، ومظانها الأصلية إنما يسلك شططا، ويفعل عبثا، ليس هو من العلم ولا من العلم في شئ

ومثل هذا ما وقع فيه العلامة (الدكتور أحمد أمين) حين تعرض لمذهب الشيعة في كتبه فقد حاول هذا العالم أن يجلى المثقفين بعضا من جوانب ذلك المذهب فورط نفسه في كثير من المباحث الشيعية، كقوله:

إن اليهودية ظهرت في التشيع، وقوله إن النار محرمة الشيعي إلا قليلا، وقوله بتبعيتهم لعبد الله بن سبأ... وغير هذا من المباحث التي ثبت بطلانها، وبراءة الشيعة منها وتصدى لها علماؤهم بالنقد، والتجريح، وفصل الحديث فيها العلامة محمد الحسين آل كاشف الغطاء في كتابه (أصل الشيعة وأصولها)

وقد سرني وأنا أتعقب مصادر الشيعة الإمامية وأصولها ومظانها الأولى أن ألتقي بصديق قديم، وناشر عراقي كريم هو: السيد مرتضى الرضوي وبيده بعضا من عيون كتب الشيعة قام بطبعها في دور الطباعة بالقاهرة وكان مما أهداه إلى هذا الناشر الفاضل كتاب (أصل الشيعة وأصولها) الآنف الذكر، وكتاب (عبد الله بن سبأ) و (أجزاء من كتاب) وسائل الشيعة، وغير هذا وذلك من عيون كتبهم في العقائد الشيعية والفقه الشيعي

واليوم قدم إلى السيد مرتضى الرضوي كتابا جديدا للأستاذ محمد رضا المظفر عميد كلية الفقه في النجف الأشرف، ألفه في عقائد الإمامة

وطلب مني أن أكتب مقدمة لهذا السفر الجليل وأن أبدي رأيي الصريح

حوله بعد أن أكد العزم على طبعه ونشره وما كدت أتصفح هذا السفر حتى ملك على إعجابي للذي جمعه فيه مؤلفه بين الغرض الدقيق لعقائد الإمامية، والأداء الواضح المفصح عما يعنيه الكاتب فلا يكاد الكتاب يمتعك بما حواه من عقائد الشيعة وتتبعها في صورة رتيبة منظمة، وأداء مبوب حتى يبهرك بجمال عبارته وإشراق ديباجته وهو فوق هذا وذلك يجمع بوجه عام بين الإفادة التامة التي يبغيها الباحثون في كتب الشيعة، والإيجاز والتركيز فيها يريد الكاتب أن يعرض على قرائه.

فالكتاب على هذا النحو الذي يعنيه المؤلف حين يعرض بين يديك عقائد عقائد الإمامية يعتبر مصدرا جامعا مانعا ملما بأطراف الموضوع من جميع نواحيه وإن كان في غاية من التركيز والإيجاز

ولست في هذا المقام أعني بما كتبت إطراء الكاتب أو تقريظه بالمدح ولا ثناء البالغ بقدر ما أنا أبغيه من إنصاف الحقيقة وتجليتها لقراء هذا السفر الصغير، فإن شيئا من ذلك يعتبر في نظري من أوليات المبادئ العلمية التي يهدف إليها الباحثون حين يصورون الحقايق ويضعونها في موضعها اللائق بها.

لذلك فإني أعرض على القارئ الكريم صورا جميلة مما حواه هذا السفر الصغير في حجمه ومبناه، الضخم في أفكاره ومعانيه، هذا السفر الذي شحنه مؤلفه بالأدلة والبراهين وطرزه بالحجج والشواهد، من القرآن تارة ومن الحديث أخرى، ومن أقوال الأئمة الاثني عشر رضوان الله عليهم تارة أخرى

هذه الصور الجميلة التي – سأعرضها عليك – لا أشك في أنها ستستوقف

القارئ المطلع كما استوقفتني، وستستهويه كما استهوتني، وإن لم يطالع هذا التقديم الذي كتبته، فكثيرا ما ترتبط المشاعر بين الباحثين والقراء، وتتوحد أهدافهم في الحكم على الأفكار والمعاني لأن الحق واحد لا يتعدد ما دام القائلون به والحاكمون عليه يرسلون أحكامهم من زاوية عقولهم قبل قلوبهم، وأفئدتهم قبل هواهم، وما داموا ينصفون ولا يتعصبون

ومن هذه الصور التي تستوقف القارئ مسألة القول ب (الاجتهاد)

عند الإمامية فإن الصورة المتوارثة عن جهابذة أهل السنة أن الاجتهاد قفل بابه بأئمة الفقه الأربعة.

أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل هذا إذا عنينا الاجتهاد المطلق

أما ما حاوله الفقهاء بعد هؤلاء من اجتهاد لا يعدو أن يكون اجتهادا جزئيا في الفروع وأن هذا ونحوه لا يكاد يتجاوز عند أهل السنة القرن الرابع بحال من الأحوال

أما ما جاء عن الغزالي في القرن الخامس، وأبو طاهر السلفي في القرن السادس، وعز الدين بن عبد السلام، وابن دقيق العيد في القرن السابع، وتقي الدين السبكي والمبتدع (١) ابن تيمية في القرن الثامن، والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي في القرن التاسع.... فإن هدا ونحوه لا يتجاوز في نظر المنهج العلمي الحديث - باب الفتوى ولا يدخل في شئ من الاجتهاد وهو القدر الذي أوضحناه في كتابنا. تاريخ التشريع الإسلامي في مصر

---

١ - ذهب كثير من علماء السنة إلى القول بابتداعه. أما الصوفية فإنهم أجمعوا على ذلك. وقد كانت بين الإمام تقي الدين السبكي وابن تيمية مساجلات في نواح كثيرة من الفقه والعقيدة أنظر كتابنا: تاريخ التشريع الإسلامي في مصر.

في غفران الصغائر والكبائر محمد شفيع الحسيني الطالقاني أو زاذاني غفر الله له ولوالديه ورضي عنهما، وأرضاهما، والحمد لله أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا

ويسرني أن أنوه في ختام هذا التعريف أن الناشر وقد عهد بتحقيق هذا التفسير إلى المتخصصين في خدمة التراث الإسلامي - قد أسدى إلى هذا التفسير الجليل خدمات علمية جليلة يسرت على قرائه سبيل الجمع بين التفسير والصحف العثماني وبعض ما يتصل بهما من علوم القرآن الكريم

قولهم بالرأي الأول في الحسن والقبح فهما في نظر الشيعة بعامة والإمامية بخاصة جوهريان ذاتيان في الأشياء وليسا آتيتين من قبل أمر الله ونهيه، وذلك نهج يستوقف نظر الكثيرين من الباحثين ويدعوهم إلى الدهشة وإطالة الفكر والتأمل

أما نحن فلا نجد في ذلك أدنى دهشة أو التباس في الأمر ذلك أن الشيعة الإمامية كانوا يأخذون في الكثير من مواطن الأحكام الدينية بمنهج العقل بقدر أخذهم بمنهج النقل وأن رأيهم في الحسن والقبح الذاتيين هو رأي جهابذة المعتزلة

ويبقى هناك سؤال واحد يستلزم منا أن نجيبك عليه، هو:

هل تأثير الشيعة بالمعتزلة؟ أم تأثير المعتزلة بالشيعة؟

فأما جمهور الباحثين فيرون أن الشيعة تأثروا بالمعتزلة في الأخذ بالمنهج العقلي ولكني أزعم لك أن المعتزلة الذين تأثروا بالشيعة، وأن التشيع كعقيدة سابق على الاعتزال كعقيدة، وأن الاعتزال ولد ودرج في أحضان التشيع، وأن رؤوس الشيعة كانوا أسبق في الوجود من جهابذة المعتزلة أزعم لك ذلك ما دمنا نسلم بالحقائق التاريخية، وما دمنا لا نشك في أن الرعيل الأول من الشيعة أخذوا في الظهور منذ عصر الراشدين وتطوروا في خلافة الإمام علي كرم الله وجهه في صورة لا تقبل الجدل وما كاد الإمام يستشهد ظلما وعدوانا وينتقل إلى الدار الآخرة حتى أصبح للشيعة حزب يناهض جميع الأحزاب السياسية والدينية في الإسلام

ومن هنا أستطيع أن أجلي للقارئ المتدبر أن التشيع ليس كما يزعمه المخرفون

والسفيانيون من الباحثين مذهبا نقليا محضا أو قائما على الآثار الدينية المشحونة بالخرافات والأوهام والإسرائيليات، أو مستمدا في مبادئه من عبد الله بن سبأ وغيره من الشخصيات الخيالية في التاريخ، بل التشيع في نظر - منهجنا العلمي الحديث - على عكس ما يزعمه الخصوم تماما، فهو المذهب الإسلامي الأول الذي عنى كل العناية بالمنقول والمعقول جميعا واستطاع أن يسلك بين المذاهب الإسلامية طريقا شاملا واسع الآفاق ولولا ما امتاز به الشيعة من توفيق بين (المعقول) و (المنقول) لما لمسنا فيهم هذه الروح المتجددة في الاجتهاد وتطوير مسائلهم الفقهية مع الزمان والمكان بما لا يتنافى مع روح الشريعة الإسلامية الخالدة

ودعني أعرض عليك (صورة ثالثة) قد يخيل إليك أنها تتنافى مع المنهج العقلي الذي حدثناك عنه في الصورة السالفة ألا وهي عناية الشيعة بزيارة القبور وزيارة أضرحة الأولياء والأئمة من آل البيت وتعبدهم بجوار مقاماتهم كإقامة الصلوات المفروضة ونشر مجالس العلم وإحياء ذكرى أئمتهم الاثني عشر فإن شيئا من ذلك في نظر المعاصرين من المسلمين والتجريبيين الآخذين بالعقل والرأي يعتبر أباطيل وخرافات، بل هناك من الفرق الإسلامية من يعتبر ذلك كفرا ومروقا من الدين ولا سيما أتباع أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، وأتباع تلميذه التاريخي محمد عبد الوهاب النجدي مؤسس المذهب الوهابي، وغير هؤلاء جماعة من معاصرينا نترفع بالقلم عن ذكرهم.

أما سواد أهل السنة وجميع المعتدلين منهم فإنهم بالإجماع يوافقون إخوانهم الشيعة الإمامية في هذه العقيدة، لأن كلا الفريقين يعتقد أن الأولياء والأئمة وجميع من في الأرض لا ينفعونك بشئ إلى بشئ أراده الله لك،

ولا يضرونك بشئ إلا بشئ أراده الله لك فليس لهم تأثير ولا نفع ولا ضر إلا بإذن الله، وعلى هذا الأساس فزيارة قبور هؤلاء الخواص إنما هو من قبيل التأسي بأخلاقهم والاقتداء بمآثرهم الطيبة والتماس العبر والعظات في إحياء ذكراهم وذلك مباح عند الفريقين.

وصورة رابعة أخذت بتلابيب تقديري إعجابي وأنا أطالع كتاب أخي المؤلف، وأعنى بها قدرته في تجلية عقائد الإمامية في أسلوب رتيب يفصح عن تأثر الشيعة بالمنهج العقلي وسبق أني ذكرت أن سبب ذلك راجع إلى تعمق الشيعة في العلوم العقلية بقدر يماثل ما رووه عن أئمتهم من النقليات وهذا أيضا يدلنا دلالة قاطعة على الروابط المتينة التي كانت بين التشيع والاعتزال وبين أعيان الشيعة وأعيان المعتزلة، وإن من يراجع كتابنا (الصاحب بن عباد) يرى إلى أي حد كان أعيان الشيعة هم أعيان المعتزلة، وأعيان المعتزلة هم أعيان الشيعة إلا فيما شذ منهم

ولقد بلغت هذه الروابط قمة التأثر المزدوج بين الطائفتين في أواسط القرن الرابع الهجري، ووصلت إلى منتهاها في شخصية (الصاحب بن عباد) الذي تولى زعامتي الاعتزال والتشيع في النصف الثاني من ذلك القرن الذي تسنمت فيه الحضارة الإسلامية مكان الذروة

فإذا ما تعرض المؤلف الكريم للحديث عن (توحيد الصفات) (ص ١٤) في ذات الله تعالى فإنه يذكرنا بعقيدة المعتزلة في القول بتوحيد الصفات، ومن أجل هذا أطلقوا على أنفسهم أهل التوحيد فالإمامية والمعتزلة يشتركان في القول بأن الصفات هي عين الذات أي أنه سبحانه بصير بذاته، سميع بذاته، قادر بذاته وهكذا لا يفرقان بين الذات والصفات وأصحاب هذين المذهبين لهم

عذرهم في ذلك عندي، إذا التفرق بين الذات والصفات كثيرا ما يحمل العقول إلى الالتباس ويدفع الأذهان في معنى الاشراك وهذا - مما لا شك فيه - من روائع تأملاتهم في التوحيد

وكذلك نلحظ مثل هذه الروابط المتينة بين الإمامية والمعتزلة فيها تعرض له المؤلف من عقائد تتعلق بمعنى (العدل الإلهي، من نحو (وجوب فعل الجميل) على الله تعالى، ونحو (وجوب ترك القبيح) منه تعالى فإنهما ما قالا بهذه المقالة إلا تحرزا عن نسبة الظلم إليه سبحانه ومن ثم يتأول الإمامية استشهاد أهل السنة بقولة تعالى: (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)، وهم بحكم هذه العقيدة لا يرتضون قول الإمام أحمد الدردير - أحد أعلام السنة والتصوف في القرن الثاني عشر حين يقول في خريدته:

ومن يقل بفعل الجميل وجبا * على الإله فقد أساء الأدبا

ومع هذا فأنا - أيضا - آخذ لهم في ذلك العذر كل العذر للذي تنطوي عليه أفئدتهم من جميل القصد وهو التحرز من نسبة الظلم إليه سبحانه ولو كان ذلك من قبيل توهم الظلم

والحق أن لكل من الطائفتين: المعتزلة والشيعة الإمامية في جانب وأهلي السنة والصوفية في جانب آخر - وجهته في الثناء على المكان الإلهي فالمعتزلة والإمامية يؤثرون الدفاع عن جانب (العدل الإلهي).

أما أهل السنة والصوفية وجماعة من السلف الصالح فإنهم يؤثرون جانب الدفاع عن (الحرية الآلهية) أي الحرية المطلقة لله سبحانه، وهي الحرية التي لا تقيدها قيود ولا تعلوها قوة أخرى والتي يستشهدون لها بقولة: (لا يسأل

عما يفعل) ولكل من الجانبين المتضادين – في نظر المنهج العلمي الحديث – وجهة هو موليها
ويلحق بهذا القدر قول المؤلف في (القضاء والقدر) وهل الإنسان مسير أم مخير؟ أو على حد تعبير الإمامية: هل الإنسان مجبر أو مفوض؟
وهذا المبحث وإن كان شديد الارتباط بفلسفة العدل الإلهي التي شابههم فيها المعتزلة، إلا أننا نلحظ على الإمامية في هذا المقام أنهم يسلكون مسلكا آخر، مسلكا وسطا فلا يقولون بالجبر المطلق الذي قال به فريق الجبريين، الملقبين بالجهنمية، كما أنهم لا يقولون بالتفويض المطلق الذي قال به فريق (المفوضين) الملقبين بالقدرية من المعتزلة
أما عن عدم قولهم بمقالة الجبريين فلأن القول بالجبر ينفي عن الإنسان الإرادة والاختيار أصالة ويجعله لعبة في يد الأقدار، أو كالريشة في مهب الرياح وإذا كان كذلك صار حساب الله له – في عرضهم – عما يرتكبه من خطأ ظلما فاحشا لأنه لا سلطان له حينئذ في اختياره، ولا إرادة له تمنعه من الوقوع في ذلك الخطأ، فهم ينكرون هذا الجبر لأنه ينفي عن الله صفة العدل، وفي هذا يقول الشاعر معبرا عن ذلك:
ألقاه في اليم مكتوفا وقال له * إياك إياك أن تبتل بالماء –
وأما عن تركهم رأي القائلين بالتفويض المطلق، والاختيار المطلق فلأنه يجعل المرء في أفعاله وأقواله مستقلا عن إرادة الله وقدرته، فهو – في نظرهم – رأي المفوضين والقدريين الذين يقولون إن الإنسان يخلق أفعال نفسه دون تدخل لقدرة الله في هذا الفعل

وفقد أورد بعض نقاد العقائد أحاديث في ذمهم، منها قوله عليه السلام:
(القدرية مجوس هذه الأمة)
ومن هنا نعلم أن خطأ الجبريين ينصب في نفي صفة العدل عن الباري سبحانه لأنه يحاسب الإنسان على أفعال هو موجدها فيه دون تدخل للمخلوق في ذلك
أما خطأ القدريين فينصب في نفي قدرة الله وسلطانه على مخلوقاته، وكلاهما بعيد عن الحقيقة كل البعد
فإذا كان الإمامية يقولون بمقالة الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه:
(لا جبر ولا تفويض ولكن أمرين) فإنهم يتفقون مع إخوانهم
أعلام السنة كل الاتفاق، ذلك أن أهل السنة يقولون بمثل مقالتهم، ويصرحون بأن للإنسان جزءا اختياريا، فهو ليس بالجبر المحض، ولا بالخالق لأفعال نفسه وأشهر القائلين بهذه المقالة الإمام أبو الحسن الأشعري وقد حاول الإمام فخر الدين الرازي أن يفلسف التوفيق بين مذهب الجبر ومذهب التفويض حتى أثر عنه كان يقول: (الإنسان مجبر ظاهرا) وهذه مقالة دقيقة لا تخفى على الراسخين في العلم والعارفين بتفاصيل العقائد الإسلامية
وهناك صورة خاصة نختم بها حديثنا في هذه المقدمة، هي قول الإمامية في (البداء) ومعناه الظاهر فعل الشئ ثم محوه، وقد قال به الإمامية في حق الله تعالى حتى أثر عنهم: (ما عبد الله بشئ مثل القول بالبداء)
ولما كان البداء من صفات المخلوقين لأن فعل التي، ثم محوه يدل على

التفكير الطارئ وعلى التصويب بعد الخطأ وعلى العلم بعد الجهل فإن كثيرا من المفكرين سفهوا عقول الشيعة في نسبة البداء إلى الله سبحانه، والشيعة الإمامية براء مما فهمه الناس عن البداء إذا المتفق عليه عندهم وعند علماء السنة أن علم الله قديم منزه عن التغيير والتبديل والتفكير الذين هو من صفات المخلوقات، أما الذي يطرأ عليه التغيير والمحو بعد الإثبات فهو ما في اللوح المحفوظ بدليل قوله تعالى: (يمحو الله ما يشاء ويثبت)

ولنضرب مثالا لذلك يبين معنى البداء الإمامية: فلان من الناس كتب عليه الشقاء في مستهل حياته، وفي سن الأربعين تاب إلى الله، فكتب في اللوح المحفوظ من السعداء.

فالبداء هنا محو: اسمه من باب الأشقياء في اللوح وكتابته في باب السعداء أما في علم الله فيشمل جميع تاريخ هذه المسألة من إثبات ومحو بعد التوبة أي أنه سبق في علم الله أن هذا الشخص سيكون شقيا ثم يصير سعيدا في وقت كذا حين يلهمه التوبة.

إن البداء الذي يقول به الإمامية هو قضية الحكم على ظاهرة الفعل الإلهي في مخلوقاته، بما تتطلبه حكمته فهو قول بالظاهر المترائي لنا، وإذن نوجه الإشكال في الذين خطأ والشيعة في قولهم بالبداء إنما جاء من زعمهم أن الشيعة ينسبون البداء إلى علم الله القديم لا إلى ما في اللوح المحفوظ

ولذلك بما قدمته لك من بيان ضاف تكون وقفت معي على ما في عقائد الإمامية من وجاهة في قلوبهم بالبداء، وما في تفكيرهم من عمق في الحكم به لأن معناه – في نظري – أن سبحانه يطور خلقه وفق مقتضيات البيئة والزمان اللذين خلقهما وأودع فيها سر التأثير على خلقه ولو ظاهرا

إن القول بالبداء هو: المقالة الوحيدة التي نستطيع بهيها إن نفسر لك سر الناسخ والمنسوخ في القرآن كالحكمة فيها ورد من آيات تحريم الخمر، وكيف تدرج ذلك التحريم في صورة مراحل ليعالج سبحانه بذلك اعوجاج النفس البشرية ويخلصها من قيود العادة المستحكمة شيئا فشيئا حتى يتحقق لهذه النفس صلاحها، ولو حرمها مرة واحدة لكان في ذلك ما فيه مشقة على النفس!

فذلك هو اعتقاد الإمامية في البداء.

ويسرني أن أنوه في هذا المقام ما أزمع القيام به من تقريب بين المذاهب الإسلامية في كتاب مفرد أرجو بتوفيق من الله أن أوضح فيه إلى أي حد تتفق هذه المذاهب في الجوهر والأهداف وإن اختلفت في المظهر والطرائق

وبعد فإني أهنئ الأستاذ المؤلف فيها وفق فيه من الجمع بين المنقول والمعقول في عرض عقائد الإمامية، وقد أتحف به قراء العربية من ثقافات عقيدية عن الإمامية جمع فيها بين الاحتجاج للرأي، والإجادة في الأداء وفي هذا القدر كفاية لمن أوتي حظا من الإنصاف والتأمل

الإمام الصادق عليه السلام
والمذاهب لأربعة

(٤١)

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤٢)

منذ أكثر من عشرين عاما استرعى التفاتي - وأنا أبحث في تاريخ التشريع الإسلامي والعلوم الدينية - الإمام جعفر الصادق سليل البيت النبوي الكريم، وما كان له من شخصية عظمة في الفقه الإسلامي، ومنزلة لا تجارى في عالم الفكر العربي، وفي الجانب الروحي بصفة خاصة فوضعت في ذلك الوقت بحثا تناولت فيه جوانب من سيرته وعلمه، ومنهجه الفكري والفقهي، واستغرق ذلك مني قرابة ثمانين صفحة ثم عرضت الفكرة على أستاذنا المرحوم عبد الوهاب عزام وهو من النفر القليل المشهود لهم في نظري بالقدرة على الجمع بين أخلاق القدماء ومناهج المحدثين ولكن الأستاذ الوقور لم يكد يسمع بعنوان البحث حتى علت وجهه السمح بسمة خفيفة، فهمت منها كل شئ... فهمت أن هذه الشخصية - على الرغم مما تمثله من مكانة عظيمة - هي مما يهم علماء الشيعة أكثر مما يهم علماء السنة، ولو كان ذلك البحث في مجال الجامعة، التي يحب أن تكون أرحب صدرا مما تدعو إليه الطائفية المذهبية من تخصص، أو تفرضه البيئة من مخططات محدودة ضيقة في مجال الفكر.
خامرتني هذه الفكرة أمدا طويلا، وكدت أن أعيش فيها وأخرج بها إلى الناس في كتاب خاص، أرادت أن يكون عنوانه (جعفر الصادق): إمام العلماء الربانيين وأول المبعوثين من المجددين)

وعلى الرغم من كثرة ما كتبت وما حصلت من مراجع حول هذه الشخصية العظيمة منذ عام ١٩٤٣ - فإن الدوافع البيئية والوجدانية لمن يعيشون حولي كانت تردني إلى الوراء وتحملني على اليأس أكثر مما تحملني على الكتابة والانطلاق في الموضوع.

وقد ضاعف من الزهد في إتمام ما بدأت ما قرأته من أبحاث مهلهلة هنا وهناك حول شخصية هذا الإمام، فطويت صحافي وتركت الكتابة، وتأبيت على التعليق والرد.

ولكن يأبى الله سبحانه إلا أن يظل الحق حقا، وأن تكون قوته فوق طاقات الزمان وحواجز المكان وهكذا بعد عشرين عاما قضت أثر انقطاعي عن الكتابة حول هذه الشخصية الفذة، تخللتها ألوان من التخطيط المنهجي، وصور من الكتابات التي لا تقوم على أساس علمي، طالعتنا الأقدار التي تأبى إلى أن تضع الحق في نصابه بمن يميط اللثام عن وجه الحق سافرا، ويحمل السحب على الانقشاع بعد الذي طال من تلبد

كان هذا الفتح الجديد في دراسة الإمام منذ عشرة أعوام حين خرج إلينا الباحث الأديب والعالم العراقي الحصيف الأستاذ أسد حيدر بالجزء الأول من كتابه (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة) والذي تم نشره على ما يبدو في مقدمة الطبعة الأولى سنة ه ١٣٧٥ ه - ١٩٥٦ م، فكان هذا الكتاب الجامع إيذانا بإنهاء مرحلة التخطيط حول سيرة الإمام الصادق، كما كان نقطة الانطلاق التي عرفنا من ورائها الكثير عن تاريخ (المذهب الجعفري)، وما بينه من المذاهب الفقهية الأربعة من صلات وروابط يجهلها الكثيرون من علماء هذه الأمة على الرغم مما حصلوه من ثقافات تاريخية وفقهية وفلسفية.

وأول ما يسترعي التفاتنا من هذا السفر الضخم شموله وسعة آفاقه واستيعاب أكثر جوانب هذه الشخصية العظيمة، ولعل ذلك راجع إلى سعة اطلاع المؤلف، فلا يكاد يرى رأيا لصاحب رأي حول شخصية الإمام إلا وأتى به، ولا قضية تتصل بالموضوع من قريب أو بعيد إلا وساقها وناقشها في أسلوب أدبى أقرب ما يكون إلى الموضوعية والنهج الفني وأبعد ما يكون عن التحيز المسف والتعصب الأعمى

وفي كتاب المؤلف واسترسالاته التحليلية حول هذا الموضوع – نلمس اتزان العالم الحصيف حين يهرع إلى كلمة ويفر بنفسه عن كل ما يشوه هذه الكلمة وإن من يقرأ صدر الجزء الأول من كتابه: (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة) يقف على عجالة دقيقة في الخلافة الإسلامية أرسلها المؤلف واضحة المعالم سافرة الأركان، يقرأها القارئ فيخيل إليه أنه يعيش في هذه الحقبة من التاريخ

إن هذا الأسلوب العلمي في علاج التاريخ الإسلامي خليق بأن ينال النقاد الحظوة من التقدير، وخليق بأن يكون أساسا لما بعده من مؤلفات

إننا في حاجة إلى دراسة التاريخ دراسة علمية، وفي حاجة أشد إلى دراسة المذاهب السياسية والفقهية في صورة أعمق مما وصل في أيدينا لنقول للمحق أحققت وللمخطئ أخطأت، وتشتد حاجتنا إلى هذه الدراسة حين نعلم عن يقين لا يقبل الشك والقدر الذي لعبته السياسة الأموية والسياسة العباسية في تصوير المذاهب الفقهية، وحين نعلم عن يقين لا يقبل الشك مدى ما أصاب الشيعة من عنت، واضطهاد في ظل هاتين الأسرتين الحاكمتين خلال ثمانية قرون كاملة

إن هذا الإحياء الصادق الذي يقوم به علماء الشيعة في صرح الثقافات
الإسلامية يعتبر في نظري إنعكاسا لهذه الثورة النفسية التي أشعلت نيرانها
السياسية الأموية والعباسية في نفوس شيعة الإمام علي والأئمة من بعده
ولقد كان اضطهاد هذه الشيعة بالقدر الذي خامر أعماق الإيمان واستقر
في النفوس بحيث توارثه هؤلاء الشيعة في معارج التاريخ كلها وامتزج منهم
بالدم واللحم امتزاج الإيمان الصادق في نفوس المؤمنين
فالشيعة – من هذه الناحية بالذات – مؤمنون عقائديون، وليس
إيمانهم من هذا النوع العميق، والمسلك العقائدي الذي يحياه الشيعة في كل قرن هو –
وحده – سر هذا النشاط الملحوظ في دعوتهم، وهو أيضا سر الانبثاقات
المتلاحقة في مؤلفاتهم، وهذا الطريق الذي نلمسه في كتاباتهم.
ولو شئنا أن ننصف المؤلف فيها كتبه عن (الإمام الصادق والمذاهب
الأربعة) لاستوعب ذلك منا مجلدا، فقد أصدر المؤلف من هذا الكتاب
ستة أجزاء كاملة مهد في أولها للتاريخ الإسلامي والأدوار التي لعبها في خلق
الأحداث المؤثرة في كيان المذاهب الفقهية، وكيف كانت حياة الإمام الصادق
منها، وأين كان يقف المذهب الجعفري، ثم مدى تأثيره في المذاهب الأربعة
ومدى ما بينه وبينها من خلافات أكثرها في الفروع، وقليل منها في الأصول
نعم لو أردنا أن ننصف المؤلف فيها أطرف به مكتبة التاريخ، وفيها
أطراف به مكتبة الفقه لاستوعب منا ذلك قرابة المجلد الكامل.. ولكننا
نكتفي من هذا القدر العظيم بالإشارة السريعة التي ترسم بعض معالم هذه الصورة

العلمية عن الإمام الصادق، معبرين فيها عن مشاعرنا إزاء هذا النهج القويم الذي سلكه المؤلف في سفره الضخم.

ولعل أروع ما يستوقف النظر ويطمئن الناقد على ما بلغه المؤلف من توفيق في هذا الكتاب إرساؤه القواعد في مشكلة الخلافة التي أشرت إليها آنفا، وأنا - في هذا الصدد - أوافق المؤلف أن المشكلة بدأت في خلافة عثمان حين انتهز بنو أمية خلافته فعبثوا بمصائر البلدان الإسلامية ولكني كنت أود أن يبدأ حديث الخلافة ومشكلتها في الصور الجذرية التي بدأت بانتقال الرسول صلوات الله عليه إلى الرفيق الأعلى.

وقد أنصف المؤلف تاريخ الإمام (علي) حين صور المشاكل التي كانت تحيط خلافته من خروج أم المؤمنين (عائشة) إلى مؤامرات (معاوية) وعبثه بشخصيتين كبيرتين هما: (طلحة) و (الزبير) حين بايعهما لا لذاتهما ولا لسبقهما في الإسلام، ولكن ليجعل منهما جسرا لمعارضته وموضوعا لبث أهوائه الشخصية، إلى غير ذلك من المطالبة بدم عثمان، وعلي برئ من هذا الدم.

وقد كانت هذه المشاكل من الكثيرة بالقدر الذي استعصى على فلاسفة التاريخ من عرب ومستشرقين، فأخطأوا فهم شخصية (الإمام علي) ونزعوا عنه صفة السياسة واكتفوا بوصفه بالورع والزهد ولكن اجتهاد الإمام عليه السلام ونزوعه الشديد إلى منهج التوفيق بين الورع في الدين والصراحة في السياسة كان فوق مدارك هؤلاء المؤرخين وكم كنت أود أن يشير مؤرخنا البارع إلى مهاترات المستشرقين، وضحالة تفكيرهم في إدراك معنى (التكامل النفسي) - كما أسميه - في شخصية (الإمام علي) وهو القدر

الذي أخطأ فيه (جولد تسيهر) وغيره ونحن نرى أن انتصار معاوية على الإمام إنما هو صورة من صور الثأر والتآمر التي نزع إليها الشرك بعد أن غلبه الإسلام، فيه على حد تعبيرنا قصاص المتمسلمين وأدعياء الإسلام من المسلمين المؤمنين حقا.. وهم الذين قتلوا آباءهم وأجدادهم من أجل الحق وإعلاء كلمة الإسلام

ولا أحب أن أطيل في التعليق على هذا الكتاب القيم الذي أعتبره دائرة معارف عامة وموسوعة قيمة في تاريخ المذهب الجعفري و المذاهب الفقهية لا غنى للباحثين عنه وأوثر في ختام هذه الكلمة أن أنوه بما كتبه المؤلف عن محمد بن إسماعيل البخاري وكتابه في الحديث وقد لاحظت في تعليق المؤلف على (البخاري) جانبين: (جانب موضوعي وهو الذي تناول فيه المؤلف الأحاديث الموجودة في هذا الصحيح كما تناول أسانيدها ورجالها اجتهادي تحدث فيه المؤلف عن انصراف البخاري عن الأحاديث التي تروي في فضائل بيت النبوة.

أما الجانب الأول فنحن فيه على اتفاق تام، ذلك لأن أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تدون في حياته إلا ما روي عن صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص، ومن ثم لا بد من أن يخضع الحديث سندا ومتنا للنقد النزيه، فما وافق منه القرآن الكريم، وروح السيرة النبوية العطرة، جزمنا بصحته، وما كان بعيدا عنهما صار موضع نظر، وهنا يأتي – فقط الخلاف بين نقاد الحديث.

وأما الجانب الثاني – وهو الذي يتلخص – ظاهرا – في إعراض

البخاري عن الأحاديث المروية عن أئمة آل بيت النبوة فإني أرى فيه رأيا
لا ألزم فيه أخي المؤلف
ذلك أن هذا الإعراض عن أحاديث هؤلاء السادة هو من أفعال القلوب
التي لا تستطيع الحكم عليها إلا بعد الاستقصاء التام، وكما نستطيع أن نقول:
إن أعراضه عن الأحاديث المروية عن الأئمة كان آتيا بدافع عدم التوثيق،
نستطيع - بلا شك ولا ريب - أن نقول: أنه امتنع عن روايتها خوفا
وفرقا من حكام العباسيين الذين كانوا يناصبون آل محمد العداء وهو يعلم أنه
لو روى عنهم لأهمل كتابه في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
أو لقضي عليه وقبر وهو في مهده.
فإذا كانت الشجاعة الأدبية قد تخطت الإمام البخاري فيما يتعلق بأحاديث
فضائل آل محمد.. فإن ذلك لا يقضي على ما بذله من جهد، ولا أقل من أن
يقال في هذا الصدد: أنه اجتهد وأخطأ، ولعل إهماله لهذا الجانب من
الأحاديث كان درءا لما يخشاه من سطوة الحاكم، فاكتفى من ذلك أن يقر
بقلبه دون المشافهة باللسان والتسجيل بالقلم وذلك ما يطابق أضعف الإيمان
هذا إن ثبت خوفه من حكام ذلك العصر - وإلا فإننا لا نستبعد أنه
حاول الرواية عن رجال البيت النبوي، واستعصى ذلك عليه بسبب ما كان
يضربه الحكام حول أفراد هذا البيت من سياج منيع، ليحولوا بينهم وبين
اتصال طلاب العلم بهم، ونحن نعرف مدى اضطهاد الحكام لهم و حقدهم
عليهم
وقصارى القول فإن إغفال البخاري لهذه الأحاديث لا يضعف من شأنها

ولا ينقص من قدرها وقد رواها أصحاب السنن، كما أن ذلك – علميا – لا يصبح دليلا قاطعا على موقفه من الأئمة رضوان الله عليهم
وإني لأرجو الله سبحانه أن يؤاتينا فنتصفح ما فاتنا من صفحات هذا الكتاب القيم، متمنين لمؤلفه العلامة الأستاذ أسد حيدر (١) التوفيق والسداد في إتمام ما بدأ، وإنا لمنتظرون.

---

(١) من الأعلام والكتاب البارزين في العراق ومن أشهر المؤلفين في العالم الإسلامي يستهدف في كتاباته نشر الدعوة الإسلامية، وهو من أعمدة الحوزة العلمية في جامعة النجف الأشرف – العراق وله عدة مؤلفات قيمة أشهرها كتابه الخالد (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة) الذي جسد فيه دور الإمام الصادق القيادي، في النهضة العلمية، والحضارة الإسلامية التي حمل لواءها بعد ذلك تلاميذه الفقهاء أصحاب المذاهب الإسلامية، وتلاميذته المفكرون في الفلسفة الإسلامية، والتجريبيون في الكيمياء والطبيعة، وقد طبع هذا الكتاب طباعة أنيقة في ستة أجزاء لأول مرة في النجف الأشرف وتوالت طباعته في العراق، ولبنان وإيران
وقد أصبح الكتاب من مصادر الأبحاث التاريخية للتشريع الفقهي في أروقة الجامعات التي تعنى بالفقه الإسلامي المقارن كما أن له مؤلفات أخرى تمتاز بنفس المستوى العلمي ومن ذلك كتابه: (الشيعة في قفص الاتهام) وكتابه: (مع الحسين في نهضته) الذي صدر في عام ١٣٩٥ ه في لبنان، وله (مع العلوي الثائر) وهو دراسة عن الثورات التي هي امتداد لثورة الإمام الحسين عليه السلام وقدم إلى الطبع في بيروت، وله الجزء السابع من كتابه الخالد (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة) سوف يقدم إلى المطبعة إن شاء الله

٤ - الشيعة
يحتوي على مجمل عقائد الشيعة الإمامية

بسم الله الرحمن الرحيم

(٥٢)

بعد عودتي من الجزائر في أواخر شعبان سنة ١٣٩٨ من هجرة سيد الأنبياء
التقى بي في القاهرة الأخ الكريم السيد مرتضى الرضوي وأهداني مجموعة
من كتب السادة الإمامية ومن بينها كتاب: (معتقدات الشيعة الإمامية)
وما كاد نظري يقع عليه حتى تناولته بالقراءة الفاحصة وشدني ما فيه دراسة
مستفيضة عن مذهب الإمامية كما أعجبني ما اعتز به مؤلفه سماحته العلامة السيد
محمد صادق الصدر من جراءة في القلم وشجاعة في الأسلوب وغيره على الحق
وقد ضاعف من دفعي على تسطير هذه المقدمة مما جبلت عليه من ميل شديد
للتقريب بين شقي أمة محمد صلى الله عليه وآل وسلم لقول الله سبحانه
(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)
من وحي هذه الآية الشريفة من آي الذكر الحكيم نصدر هذا الكتاب،
دعوة إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية، وإقرارا لكل مذهب من
المذاهب الفقهية على ما لديه من المسائل الفرعية، وتثبيتا لما عنده من اجتهاد
في الأصول، وفي تصور العقيدة الصحيحة في العمق واليقين الذي هداه
الله إليه
ما دام هدف هذه المذاهب الإسلامية هو التوحيد الأكبر الذي ندعو إليه
في جميع كتاباتنا

ولا يضير أي مذهب الاختلاف في القضايا الفرعية وفي
درجة العمق في مفاهيم الأصول والقيم الإسلامية لأن المدار كل المدار هو التوحيد الأكبر الذي يتبلور حول الإيمان بالله ورسوله وكتبه وملائكة وبالقضاء خيره وشره حلوه ومره مع توحيد عملي يجمع بين هذه المذاهب في كون الصلوات المفروضة خمس صلوات وفي وجوب الزكاة، وفي صوم شهر رمضان، وفي حج بيت الله سبحانه لمن استطاع إليه سبيلا

وليس هناك أدنى تبرير لما يثيره أهل العصبة من هذه المذاهب من تعصب كل مذهب لرأيه ما دامت قضايا الاختلاف لا تتجاوز الفروع واختلاف وجهات النظر فهم النصوص، وهو حق مشروع لكل من ملك أدوات الاجتهاد من أئمة المذاهب الإسلامية الذين وصلوا بعلمهم وأخلاقهم واجتهادهم إلى التمسك بالمفهوم الأقرب إلى جوهر النصوص الشرعية

فإذا حدث اختلاف بينهم في هذه المفاهيم فإن ذلك دليل على عظمة الله والإسلام واتساع باب الاجتهاد فيه

وليس كما يعتقد الآخرون من أنه: دليل الوهن والضعف والاضطراب ما دام المجتهد - كما قلنا - يملك عن يقين أدوات الاجتهاد وعلومه من شرعية ولغوية وبلاغية وأصولية

والمسوغ الأعظم لهذا الاجتهاد بأخذ شرعيته من قول الرسول الأعظم سيدنا محمد صل الله عليه وسلم

(واختلاف أمتي رحمة) ومع أن الحديث الذي تقرر فيه الرسول الأعظم

مشروعية الاجتهاد ويضع فيه الفقهاء أمته الأكارم منطلق الفتوى ولفتح لهم فيه باب الاجتهاد في فهم النصوص...
أقول: مع أن الحديث ليس من الأحاديث البالغة درجة الصحة في السند إلا أنه - كما نص عليه الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي رحمه الله - من الأحاديث البالغة من الشهرة والجريان على ألسنة الراسخين في العلم درجة تقرب من درجة الأحاديث المتواترة
ولهذا الحديث الشريف ما يؤثره من القضايا العلمية في الإسلام فقد ثبت أن المصلح الأكبر صلوات الله عليه حين بعث بصاحبه الذكي (معاذ بن جبل الأنصاري) إلى اليمن ليعلم أهلها أمور دينهم، ويفقههم في قواعد الإسلام وأخلاقياته ويقضي بينهم على أساس من مبادئ الإسلام..
سأله النبي صاحبه - وقد كان معاذ في ذلك الوقت من شباب أصحاب رسول الله وقد كان النبي عليه السلام يحبه كثيرا وقد قبله مرة بين عينيه وهو يقول:
اللهم إني أحب معاذا فأحبه فإذا قال النبي لهذا الصحابي حين بعث به إلى اليمن؟
وقد كان معاذ ثالث ثلاثة أرسلهم النبي إلى اليمن على فترات
أولهم في المكانة ابن عمه الإمام علي وثانيه هو معاذ بن جبل وحين عزم النبي إلى أن يبعث به إلى هذه البلاد قربه منه وبادره بقيله الشريف: كيف تقضي يا معاذ؟ فأجاب معاذ بكتاب الله تعالى.

فقال النبي - وهو العارف بأصول كل شئ من ربه -:
فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال معاذ: فبسنة رسول الله
قال: فإن لم تجد قال: أجتهد ولا آلو فضرب النبي بين كتفيه
وهول يقول:
الحمد لله الذي عرف رسول، رسول الله إلى ما يرضى الله ورسوله
وهكذا قد تبين لقارئنا الإسلامي الحصيف سنيا كان أو شيعيا أن
الاختلاف بين المذاهب الإسلامية
ونعني بذلك المذاهب الفقهية - أو جائز لا لبس فيه ولا عرج ولا خروج
عن أصول الشريعة، استمدادا من هذين الحديثين الشريفين وأولها من أحاديث
الأقوال والثاني من تقريرات المربي الأكبر صلى الله عليه وسلم.
أفبعد ذلك يتقول متقول أو يتهكم على مذهب من المذاهب الفقهية
ما دامت قواعد الاجتهاد واحدة
وما دامت عقيدة التوحيد الأكبر واحدة
وما دام النبي صلوات الله عليه أقر مبتدأ الاجتهاد ودعا إليه
وما شرحناه لك في الأحكام الفقهية ينسحب على استمداد الأحكام
الأصولية وأدلة التوحيد ووسائل الاعتقاد وطرائقه.

المذاهب الفقهية المعتمدة هي: المالكية والحنفية والإمامية والشافعية والحنابلة
والأباضية والزيدية والظاهرية.

ويكاد الاختلاف في استمداد الأصول يتعدد بتعدد المذاهب الفقهية
فهناك العقيدة الأشعرية المنسوبة لأبي الحسن الأشعري،
والعقيدة الماتوريدية المنسوبة إلى أبي منصور الماتوريدي،
وهناك العقيدة الاعتزالية والكلابية.
والعقيدة الواسطية المنسوبة إلى أتباع بن تيمية وأتباع محمد بن عبد الوهاب،
وهناك العقيدة الزيدية، والعقيدة الإمامية المنسوبة إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق سلام الله عليه، وكلهم جميعا من أهل النجاة إلا إذا استثنينا المكفرة الذين كفروا عليا المؤلهة الذين ألهوه.
وهذا الاختلاف في استمداد أصول العقيدة لا يضير جوهر العقيدة في شئ لأن المنطلق العام الذي يشمل هذه المذاهب واحد في جوهره وهو:
التوحيد الخالص وتنزيه الله سبحانه عن الاتصاف بصفات الحوادث،
وأنهم جميعا ينفقون في نسبة الكمال المطلق إليه سبحانه
فإن حاجحنا محتج أو عارضنا معترض قائلا كيف بك تدعي السلامة لهذه المذاهب جميعها والرسول صلوات الله عليه يقول: افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى إلى اثنين وسبعين فرقة وتفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة
ونحن في ذلك لا نقول بما قاله عامة العلماء من أن الفرقة الناجية هي الشيعة وحدها أو أهل السنة وحدهم،
بل الذي نراه مقصودا من عبارة الفرقة الناجية هو: (أهل الاعتدال)

من هذه الفرق جميعا لا نستثني منهم إلا المؤلهة، والغالية والحلولية وبعض المنسوبين إلى الكيسانية، والمكفرة الذين كفروا الإمام علي
ونضيف إليهم في عصرنا الحديث البهائية الذين زعموا نبوة الباب،
والقاديانية الذين أدعو نبوة غلام أحمد
ذلك هو رأينا الذي ندين الله عليه، وهو في نظرنا الرأي الصواب الذي يتمشى مع ما جاء في أحاديث المبشرات الدالة على أن نبينا صلوات الله عليه هو سيد أولي العزم من المرسلين وآل بيته هم خير آل وأمته خير الأمم وأكثرها عددا يوم القيامة
ولقد أثار العلامة الصدر في كتابه القيم قضايا كثيرة تتعلق بما بين شقي الأمة من خلافات أكثرها – في نظرنا – من القضايا النسبية
وهذه القضايا يمكن تقسيمها إلى شرعين رئيسين:
الأول: قضايا الدفاع ضد ما رمي به الشيعة من مفتريات وتخرصات نسبت إليهم ظلما.
الثاني: قضايا اجتهادية تتعلق باستمداد الأصول وفلسفة التوحيد
أما القضايا المتعلقة بدحض ما افتري على الإمامية من تخرصات فإن المؤلف كان في هذا موفقا درجة لا تضارع من الحق والغيرة على فرقة مؤمنة من الفرق الإسلامية وله كل العذر وإذا احتد أو اشتط به الحماس، أو أخذته الحمية لأن الدفاع عن سلامة الإيمان لا يقل عن الدفاع عن النفس والعرض والمال.

وقد أشار سيد الأنبياء في أكثر من حديث أن تكفير المؤمن كقتله تماما وشدد النكير على هؤلاء النفر الذين يكفر بعضهم بعضا

ولهذا فإن له في هذا الموقف عذره لأن الكثير من الباحثين كانوا أشبه بحاطب ليل خاضوا في الحكم على الإمامية وهم من فرق الشيعة المعتدلين دون أن يميزوا بين المعتدلين من الشيعة و المتطرفين من الفرق كالمؤلهة والحلولية والكيسانية

ووقع أمثال هؤلاء في أخطاء جسيمة وتبعات ضخمة كانت سببا في إحداث الفرقة بين طوائف الأمة

وحق للمؤلف أن يرفع عقيرته دفاعا عن الحق ودحضا لهذه المفتريات

أما القضايا المتعلقة بفلسفة التوحيد فقد كان موقف المؤلف فيها يختلف عن موقفه من قضايا التخرصات التي رمي بها الشيعة الإمامية:

فقد تناول قضية من أشق القضايا التي تعثر فيها العلماء قديما وحديثا وهي آيات الصفات التي وردت في القرآن فقد ذكر فيها أن أهل السنة يعتبرون في عداد المجسمة الذين لا يؤولون الآيات حين يذهبون في قوله – مثلا – الرحمن على العرش استوى بمعنى جلس، ويداه مبسوطتان بمعنى له يدان، وكحديث نزول الله إلى سماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل.

بينما يرى أن الشيعة – وحدهم – يؤولون هذه الآيات تنزيها لله عن التجسيم والتشبيه لصفات الحوادث فاستوى بمعنى استولى ويفسرون يده بمعنى قدرته.

والحق أن الفريقين لا يختلفان في التنزيه في فهم آيات الصفات.

وأن المجسمة ليسوا جميع أهل السنة وأنما ينحصرون في أتباع ابن تيمية،

وينسبون هذا التفسير ظلما للإمام أحمد ابن حنبل، ولم يفهموا المراد من قول السلف. له يد ولا كأيدينا وله استواء ولا كاستوائنا. وبذلك قال مالك حين سئل عن الاستواء فقال (رض).

الاستواء معلوم والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة ثم أمر بإخراج السائل من مجلسه.

ويقال هذا الرأي المعطلة – والحق أن المعطلة لا وجود لهم بين الشيعة المعتدلين.

ومن هنا يتبين لنا أن الخلافات في فبهم آيات الصفات خلافات نسبية وأن المعتدلين من الفريقين يقصدون تنزيه الله فعلا ونصا. وكل منهما نظر إلى قضية التنزيه من زاوية معينة.

فأهل السنة الأوائل حجتهم الأخذ بالظاهر لأن النص يؤيده.

والشيعة أخذوا بالتأويل لأن التنزيه يؤيد.

وقد أوضحت في كتابي تاريخ الأدب في العصر العباسي الأول أن العقيدة المثالية في تفسير آيات الصفات هو الجمع بين الظاهر والباطن أي بين ظاهر النص وهو ما ذهب إليه فقهاء القرن الثاني حين يقولون

له استواء ولكن لا كاستوائنا وله سمع ولكن لا كسمعنا وله يد ولكن لا كأيدينا.

يؤيده قوله تعالى: ليس كمثله شئ وبهذا يبطل التناقض بين رأي السلف في الأخذ بالظاهر ورأي المعتزلة في التأويل والتنزيه.

وكان بهذا القول يأخذ مالك وما أحسب ذلك إلا آخذا عن الإمام الصادق سلام الله عليه.
وقد كان أستاذ هذه الطبقة من الاجتهاد المطلق
ونحن نوافق المؤلف من أن فلسفة التنزيه نمت وتوسع فيها المعتزلة ولكننا لا نوافقه من أنها نشأت وولدت في بيئتهم العلمية بل هي من نتاج أئمة آل البيت
فالمعتزلة تلاميذ واصل بن عطاء وهذا: تلميذ أبي هاشم.
وأبو هاشم تلميذ والده محمد بن الحنفية ومحمد بن الحنفية تلميذ والده جد الأئمة علي ابن أبي طالب.
وعلي رضي الله عنه هو أول من قال في حق الباري سبحانه: من وصف الباري فقد حده ومن حده فقد عده.
فظاهر هذه الآيات لا تنافي التنزيه كما أوضحنا وبهذا تصبح الخلافات شكلية نسبية.
الأمر الذي سنوضحه في كتابنا (قضايا نسبية في الإسلام)
أما نقد الصحابة فقد أشبعت هذه القضية توضيحا وشرحا في مقدمتنا لكتاب الأستاذ أسد حيدر تحت عنوان: (الصحابة في نظر الشيعة الإمامية) (١).

---

١ - هذا الموضوع ذكر (العلامة الأستاذ الشيخ أسد حيدر في كتابه الخالد: (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة) ولعل الله يوفقنا للقيام بنشره إن شاء الله

وقد أثبت في هذه المقدمة أن الإمامية يقدمون المنهج العلمي على المنهج الأخلاقي شأنهم في ذلك شأن تلاميذهم من المعتزلة بينما يؤثر أهل السنة المنهج الأخلاقي ويقولون: بعدالة الصحابة جميعا وأن بساطهم مطوي.

والحق الذي نراه أننا نقر من كلام السادة الإمامية نقد الأفعال والسياسة أما أفعال القلوب ودرجة الإيمان فإنها من شأن العليم الخبير وحده

وقد نهى النبي عن إرسال الأحكام بالمدح أو الذم بقوله – فيما جاء من معنى الحديث لا تحكموا على أحد حتى تعلموا بما يختم له

وفحوى الحديث كله نهى عن الحكم على ما في قلوب أصحابه اللهم إلا من جاء النص دالا على نفاقهم أو خروجهم عن ربقة الإسلام

وحديث المؤلف عن أفضلية الإمام علي على سائر الصحابة من الأقوال المأثورة عن أكثر الراسخين في العلم والعارفين بأحاديث المناقب

وقد أحصيت أكثر من مائة وثلاثين حديثا في مناقب الإمام.

وموضوع الاختيار والجبر، وهل الإنسان مخير أم مسير؟ قضية لا تمس كرامة المعتدلين من الشيعة الإمامية من أتباع الإمام الصادق.

كما لا تمس كرامة المعتدلين من أهل السنة وإنما تمس المعتزلة وحدهم القائلين بأن الإنسان يقدر أفعاله أي يخلقها ولا دخل لله فيها وهم الذين نعتهم النبي بقوله: (مجوس هذه الأمة).

بخلاف المعتدلين من أهل السنة.

والمعتدلين من الشيعة فأهل السنة يقولون بالجزء الاختياري، والشيعة يذهبون مذهب جدنا الإمام الصادق سلام الله عليه:

لا جبر ولا اختيار ولكن منزلة بين المنزلتين
وهذا هو الصواب بخلاف المتطرفين من أهل السنة الذين هم في عداد الجبرية وبخلاف المتطرفين من الشيعة الذين هم في عداد القدرية أو المعتزلة الذين يقولون بخلق أفعال أنفسهم
وبذلك ارتفع النزاع في قضية الجبر والاختيار عند المعتدلين من شقى الأمة.
وقضية أخرى من أعوص القضايا التي تنازع فيها الفريقان ونعني بذلك الأحاديث التي تخالف ظاهر المعقول كالتي فيها معنى التجسيم أو رؤية الإنسان لله في الجبة بعيني رأسه أو الأحاديث التي يناقض ظاهرها ظاهر الأحاديث الأخرى أو الأحاديث التي على سهوه عليه السلام كحديث ذي اليدين، فإن ذلك ونحوه لا يمثل خلافا حقيقا بالفريقين.
لأن أحاديث النبي أعمق من أن تصدر فيها الأحكام السريعة
فأما الأحاديث التي في ظاهرها التجسيم فإنه قصد بها التصوير والتوضيح إن صح سندها
والأحاديث الدالة على رؤية الله، الجنة تؤول أن المقصود هو رؤية البصيرة لا الباصرة ورؤية التجلي لا رؤية الإحاطة.
وقد أوضحنا ذلك في كتابنا (الإسراء والمعراج).
والأحاديث الدالة على جواز السهو على الرسول المقصود بها التشريع وتعليم أصحابه.
وهذا ما تؤيده فلسفة التربية على ما أوضحناه في غير هذا المكان حتى قال

بعضهم قد ينسى أو ينسى ليشرع وليس للنسيان في ذاته لأن المعصوم لا يوصف بالنسيان إلا من زاوية خلق المناسبة ليشرع.
وأما الأحاديث المتناقضة فإن ما فيها من تناقض يعتبر تناقضا ظاهرا كحديث مزمارة الشيطان المروي عن عائشة وحديث دعاء النبي على من ينشد ضالته في المسجد.
فالأول قصد به إدخال السرور على الأسرة.
والثاني قصد به النهي عن الاشتغال بغير العبادة في الأماكن المخصصة للصلاة.
وفي ختام هذه الكلمة أحب أن أشد يد المؤلف مهنئا فيما بسطه من نقده لفلسفة القياس في الفقه الإسلامي ولا يزعجني في شئ أني حنفي المذهب وأن الذي تناوله المؤلف بالنقد هو الإمام أبو حنيفة النعمان وهو تلميذ جدنا الإمام الصادق رضي الله عنه.
فما أحسب شيئا وفق فيه المؤلف كتوفيقه في استعراض هذه القضية في صورة موضوعية.
وحقا ما قاله أن الدين لا يؤخذ بالقياس، وأن جميع من قاسوا من أهل الشرائع السماوية كان مآلهم الخطأ فيما اجتهدوا فيه.
فقد قاس آدم عليه السلام فأخطأ حين قاس عدم القضاء في الصوم على عدم القضاء في الصلاة حين سألته حواء وحين قاس إبليس خلقه من نار بخلق آدم من طين ففضل نفسه عليه.
وحين أوضح الإمام الصادق بطلان القياس في الفقه بدليل أن الله قبل في فتل النفس شهادة شاهدين ين ولم يقبل في الزنا إلا شهادة أربعة.

فأنى يقوم القياس مع أن جريمة القتل أعظم من جريمة الزنا
فإن هذه المسائل من المسلمات المروية عن الصادق في بطلان القياس
وأن منهج الدين الصحيح هو التسليم والاتباع وليس القياس والابتداع
والحق أن القياس لا يصح إلا عند فقدان النص وهو نادر والنادر
لا حكم له
أما فيما يتعلق برواية أبي هريرة ونعت أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة
يسيرون على غير هدى.
فإن لنا على المؤلف الجليل عتبا ونحن في هذا المجال نعمل على لم الشعث
وأخذ المسائل أخذا هينا ميسرا حتى نرأب الصدع ونزيل الحواجز والحمد لله
الذي جعلنا أهل رتق ولم يجعلنا أهل فتق، والمستقبل كفيل با تمام هذا الشوط
من الدعوة إلى التقريب في صورة علمية مقنعة تزيل كل ما في النفس من رواسب
الماضي التي أحدثها المفرقون بين شقي هذه الأمة، وكلنا رجاء أن يتم هذا
البناء ويتوحد هذا الصف حتى لا نقع في أحبولة قوله عليه السلام من شذ
شذ في النار، والله من وراء القصد

----

(١) القاهرة: (في ٥ / ٨ / ١٩٧٨)

٥ - بحث
حول المهدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ محمد باقر الصدر عالم متبحر وشخصية لامعة يعتز بها الفكر المعاصر وهو في كتبه وأبحاثه ومقالاته يتميز بالموضوعية البعيدة عن التحيز والانطواء تحت لواء العاطفة والمصالح الشخصية لذلك جاءت أبحاثه في كل ما كتب أشبه بالقيم الفكرية إن صح هذا التعبير.

وهو من العلماء القائل الذين يجمعون في أسلوبهم بين دعامتي الأصالة في التعبير:

(أ) التصوير الفني.

(ب) الأسلوب العلمي القريري.

وهو حين يكتب في موضوع خطير كالمهدي فإنما يضيف رصيدا جديدا لذا المبحث الجليل لأنه موضوع المهدي في حساب العقيدة في مجال الغيبيات

والسمعيات شأنه شأن ذلك، شأن نزول عيسى وخروج الدجال وظهور الدابة وغيرها من القضايا التي لا تعالج فكرتها باستخدام التجارب المحسوسة في معامل الطبيعة (مختبرات الكيمياء وإنما تخضع للون آخر من البراهين يتفق مع طبيعتها الروحي، أو بمعنى آخر تعتمد في البرهنة عليها على التجربة الروحية إن صح هذا التعبير

وإذا استثنينا الصدر الأول من الإسلام وهو ما يقابل آخر القرن الثالث الهجري انقسم رجال الفكر من هذه القضية إلى فريقين: فريق يؤمن إيمانا جازما بخروج المهدي رائدهم في ذلك التسليم بما جاءت أحاديث المغيبات وما أثر عنه صلوات الله عليه من قضايا سمعية وهو الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى

وهذا الفريق – وهو الكثيرة الكاثرة من الأمة – في غناء عن الهروع إلى الأدلة والبراهين لإثبات موضوع المهدي – ذلك لأن الإيمان بلغ من قلوب أفراده درجة التصديق – وعلى المدى العميق الذي فيه يصدق الإنسان المؤمن بالمغيبات وكأنها ماثلة أمامه عيانا وهذا الموقف العقدي يهبه فيهبه الله من يشاء من أمة سيد الأنبياء وهم الذين عرفهم الله وميزهم على سائر الأمم بقوله لم تعط أمة من اليقين ما أعطيت أمتي.

وفريق آخر – وهم قلة والحمد لله – أشبه بمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، وأمثال هؤلاء يريدون أن يقيسوا أمور الدين قياسا محدودا بمنطق عقولهم، وكأن المعتقدات السمعية وسائر المغيبات تقاس على غيرها من الأمور الكونية، فلا يصدقون إلا بما أثبتته التجربة في المعمل ويكذبون بما عدا ذلك

ونحن لا نستطيع أن ننعت هؤلاء بالجهل فإن منهم المثقفين بل والمتخصصين في الثقافات المختلفة، كما لا نستطيع أن ننعتهم بالغباء فإن منهم الأذكياء والنوابغ، ولكن أمثالهم – ما أخالهم إلا كما عبر الحديث النبوي: اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع

وإن ما بلغوه من ذكاء وحصلوه من علم وتجربة لا يجدي فتيلا لأنهم لا ينعمون بالعقل المدبر، أو العقل القادر على حل قضايا الفكر ومشكلات الحياة، وهو لعقل الذي أميل إلى تشخيصه بالعقل الشرعي الذي وهبه الله الفاعلية والقدرة على التوفيق بين المنقول والمعقول.

ومن ثم وقف هؤلاء – مهما بلغوا من تخصص في معارفهم – عند المستوى الذي وقف فيه الفلاسفة الماديون فحرموا بسبب ذلك نعمة الاعتقاد هذه الخارقة وخوارق الدين.

ومن ثم كان (العقل الفلسفي) عاجزا عن تحقيق هذه المدارك الروحية على حين ارتقى إليها (العقل الشرعي) كما أوضحنا.

وفي العصر الحديث عظمت هذه البلبلة وتفاقم خطبها حين بهر الناس بتقدم العلوم الطبيعية، وشاهدوا ما حققه علماء الطبيعة من خطوات كثيرة نحو كشف المجهول من أسرار الكون، وما بلغه العلماء الماديون من تطوير في وسائل العلوم المختلفة حين ظهر تطبيقها واضحا في المجالات التكنولوجية. بحيث وصل الإنسان إلى مستوى يستطيع فيه تحقيق كل مطالبه الحيوية ويصل إلى ما يريد من مرافق المعيشة في سهولة ويسر لا تكلفه شيئا أكثر من الضغط على أزرار معينة تكفل له كل ما يريد في السلم أو في الحرب

ومن ثم انعكست هذه المعايشة العلوم الطبيعية في البيت والمصنع والشارع وظهر أثرها في عقيدة الإنسان المعاصر في صورة الشك القاتل في كل ما سوى الماديات: وتسرب إلى نفسه وقلبه الذي لم ينعم بنعمة اليقين فأنكر مثل هذه الخوارق وكفر بكل ما يماثلها من معجزات.

وهكذا أصبح الحديث عن المغيبات والسمعيات التي جاء ذكر بعضها، في القرآن وذكر بعضها الآخر في السنة السمحاء من القضايا الفكرية التي يصعب على العالم مهما بلغ من تخصص وتحصيل من موسوعية أن يطويها في نفوس هؤلاء القلة من المعاصرين.

لقد أجمع القدماء من شقي هذه الأمة (السنة والشيعة) على حقيقة المهدي وأنه من بيت النبوة، وأنه من آل الحسين، وأن الله يصلحه في يوم أو ليلة، وأنه يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، وأنه يحكم الأرض سبع سنوات أو تسع سنوات - على اختلاف في الرواية - وأنه يقود الناس إلى السعادة بعد أن عمهم الشقاء وأنه يستقبل نزول عيسى بن مريم، وأن عيسى يصلي خلفه، إلى آخر ما جاء من نعوته التي أشارت إليها أحاديث المغيبات، وقد بلغت نحو تسعة وثلاثين حديثا عند السنة وقاربت الثلاثمائة حديث عند السادة الإمامية.

فالإجماع في وجود المهدي وفي خروجه حين تتأزم الحياة وتضطرب أحوال العباد لا شك فيه عند الفريقين إلا أن الإمامية يرونه اختفى بعد سنوات معدودة من مولده المبارك من والده أبي الحسن العسكري سلام الله عليه وأهل السنة لا يشكون في حقيقة المهدي، غاية ما في الأمر أنهم يعتقدون

أن الله يخلقه في زمانه قبيل الساعة ويظهر على يديه هذه الخوارق في الأحاديث المروية عنه.

ولعل النص على أنه محمد المهدي ابن الإمام الحسن العسكري هو الذي حمل العلامة الكبير الأستاذ محمد باقر الصدر، أن يتخذ من المنهج العلمي طريقا يسلكه ليثبت لقارئ المسلم - مهما اختلف مذهبه ومعتقده - أن هذا الاعتقاد لا يتعارض مع الجائز عقلا ولا يتعارض مع الجائز علما، وإن تعارض مع الجائز عادة.

وحيث كان الأمر كذلك فطريق الاستدلال على وجوده وحياته منذ القرن الثالث الهجري إلى اليوم ليس من الأمور التي يرتضيها عقل الإنسان ولا سيما من الناحيتين الفلسفية والعلمية، وإن كان ذلك يصعب استساغته من الوجهة العلمية.

فالخلاف بين السادة السنة الإمامية ليس خلافا على جوهر القضية من حيث كونه من أشراط الساعة، ومن حيث أن الله يصلح به فساد الأمة بعد طول المعاناة والاضطهاد الذي يعتصر المسلمين اعتصارا ولا سيما أصحاب المنهج المثالي الذين اقتبسوا من آل البيت أخلاقهم وسلوكهم وتأدبوا بآدابهم في إيثار المثل المحمدية والقيم الإسلامية على الفلسفات الواقعية المادية التي يؤثر فيها الأفراد مصالحهم الشخصية على المصلحة العامة للأمة.

فهذه المعاني المتجسدة في شخصية المهدي من الأمور المتفق عليها بين الفريقين العظيمين، متواترة عن الراسخين في العلم من سائر المذاهب الإسلامية: سياسية كانت أو فقهية ولو حاولنا أن نحصي أقول الثقات

وهم أهل اليقين في نظرنا - لخرجنا عن الخط الذي أردناه من كتابة هذا التقديم ويكفي أن نذكر من هؤلاء الراسخين المجلسي والطوسي من الجعفرية، والسفاريني من الحنابلة، والشوكاني من الزيدية، وصديق حسن خان، ومحمد ابن الحسين الآبري، وهؤلاء جميعا إنما ينتمون في علمهم بشخصية الإمام المهدي إلى ما انتهى إليه أئمة الاجتهاد المطلق من أصحاب المذاهب الفقهية الثمانية وفي مقدمتهم الخمسة المعتمدون قبل غيرهم: وهم الإمام الصادق وتلميذاه مالك وأبو حنيفة، فالشافعي فأحمد بن حنبل وكذلك بقية المذاهب الثمانية وهم: الزيدية المنسوبون إلى الإمام زيد، والأباضية المنسوبون إلى أباض، والظاهرية المنسوبون إلى داود الظاهر، فإننا لا نعرف قولا لأحد هؤلاء الثلاثة ينكر فيه هذه الحقيقة من المغيبات والسمعيات.

حتى هؤلاء الذين تطرفوا في مباحثهم الفقهية كالخوارج وابن حزم وابن تيمية وابن عبد الوهاب يجمعون على القول به، وكل واحد من هؤلاء يعتبر في نظرنا (مجتهد مذهب) وإن كانوا لا يقاسون بالطبقة الأولى من أهل الاجتهاد المطلق.

ويبقى الخلاف في قضية شكلية للغاية لا أحسبها مصدر خلاف حقيقي من فريقي السنة والشيعة (فالسنة) يرون أن الله يخلق المهدي في أوانه وفي آخر الزمان حين تشتد الأزمات وتبليغ القلوب الحناجر وأنه من بيت النبوة من ولد فاطمة وأنه من الأشراط الكبرى للساعة كما نص على ذلك الحديث الشريف.

(والشيعة الإمامية) يرون أنه هو - الإمام محمد بن الحسن العسكري الذي دخل السرداب في سر من رأى عام ٢٥٥ وأن الله سيخرجه في آخر الزمان

ليحكم بين الناس على النهج الأسمى الذي سار عليه علي وابناه سلام الله عليهم فهذه الخلافات تعتبر شكلية في نظرنا، لأن خارقة المهدي ليست محصورة في كونه يعيش ألفا وثلاثمائة عام فقط بل الخارقة العظمى هو انقياد أهل الثقلين له وإذعانهم له بالاتباع والسير على منهجه ومثله وقيمه الموروثة عن النبي والأئمة الهادين المهديين من آله.

ولعل العقيدة التي أخذ بها الإمامية أدل في هذا المقام على خارقة المهدي وأعمق في الدلالة على كرامته ومنزلته في هذه الأمة لكن هذا الاعتقاد في الصورة الثانية لا يرفع أحد الطرفين على الآخر المقياس الذي تقاس به العقيدة هنا تنحصر في جوهر الخارقة وفي الرسالة التي يؤهله الله لها والعلامة محمد باقر الصدر حين نظر إلى هذه الخارقة من وجهها الثاني إنما يريد أن ينظر إليها من جميع أبعادها الجوهرية والشكلية الدالة على جلال صاحبها.

ولما كان هذا الأمر من الأمور المتعلقة بالقضايا الروحية العقدية فإن الأخذ في البرهنة عليه يعتبر من أشع الأمور حتى على الراسخين في العلم وأعني بكلمة البرهنة في هذا الصدد (البرهنة العلمية) التي تقنع المفكرين المعاصرين ولا سيما الواقعيين والتجريبيين والبراجماسيين وسائر المنطوين تحت لواء الفلسفة المادية.

وقد استطاع سيادته بمهارة العالم الأصيل الذي جمع الله له بين الاستعداد والأداة:

وأعني بالاستعداد الملكة الفطرية المعينة على الغوص على تحليل القضايا

الدينية وأعني بالأداء جمعه بين أشتات المنقول والمعقول من العلوم الشرعية والعلوم الكونية في صورة موسوعية نادرة المثال أقول استطاع بفضل ما وهب من استعداد وما اكتسب من أدوات العلم أن يبحث هذه الخارقة في صورة علمية تشبه تماما ما يفعله العالم الطبيعي أو الكيميائي في المعمل ليقنع الخصوم والمنكرين بتجربة.

وإني أشد على يديه مهنئا بهذا النجح العظيم الذي أحرزه في تفسير هذه الخارقة المهدوية حين أوضح للباحثين المنطقيين مراتب التصديق ووازن بمهارة العالم الراسخ بين الإمكان الواقعي، والإمكان العلمي، والإمكان المنطقي، وذلك حين تعرض لمدى العمر الذي بلغه الإمام المهدي من لدن القرن الثالث الهجري إلى هذا العصر وأوضح أن هذا التصور لئن كان مما ينكره الواقع، فإنه من الناحية الفلسفية يعتبر جائز الوقوع ولئن كان العلم يأبى هذا التصور لهذه الحياة الممتدة نحو الألف والثلاثمائة عام – إلا أنه ليس من المستحيل علميا أن تكون هناك حالات شاذة تتغلب فيها الخلايا الحية على عوامل الهدم والفناء عامل.

أقول: وقد دلت تجارب علماء الأحياء وما يقومون بإجرائه على بعض الحيوانات من إطالة أعمار بعضها ما يدل على أن الفروض التي ذهب إليها العلامة الصدر فروض علمية وممكنة الوقوع في نظر (العلم).

لكن هذا المعنى الجميل الذي حقق فيه هذا النجح من إقناع المنكرين وخصوم الدين له دون شك – كما أعتقد – ما يؤيده في مجال (المنقول).

فقد جاء في الأحاديث المتواترة عن سيد الأنبياء قوله: (لتتبعنا سنن من قبلكم حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) والمقصود – في نظرنا –

من هذا الحديث أن أمنه عليه السلام تلخيص لكل ما مرت به الأمم السالفة من حيث المعجزات والخوارق - وليس كما يظن البعض أن الحديث مقصور على الآثام والابتلاء بدليل أن أمنه لم يحدث فيها خسف ولا فسخ إحقاقا لكرامته عند الله وبذلك يتعين أن المقصود هو ما جرى في الأمم السالفة من خوارق كقصة أهل الكهف وقصة العزير.

وإذا كان العزير مات وحماره إلى جواره مائة عام ثم أحياه الله تعالى وأحيا حماره، وحدث مثل ذلك مع أهل الكهف حين لبثوا ثلاثمائة عام في سبات عميق لم يتخلله يقظة أو شراب، فإن الله فعل مثل ذلك في أمة حبيبه محمد وذلك في شخص المهدي المنتظر.

وبذلك يثبت الدليل بالمنقول في القرآن، ويكون استدلال العلامة الصدر من باب تأييد المنقول بالمعقول

وأعمق من ذلك أن الحياة - في نظر العلماء الكاملين الجامعين بين الشريعة والحقيقة والطبيعة - لا تنقضي - شرعا - بسبب انتهاء مقاومة الجسم لعوامل الهدم الداخلية والخارجية، وإنما تنقضي بسبب انقضاء الأجل نفسه.

وفي هذا السر الذي لا يدركه إلا الراسخون في العلم قال جد الأئمة علي بن أبي طالب: (إنما يحفظ المرء أجله) ولم يقل صحنه أو ما فيه من عوامل البناء التي تقاوم عوامل الهدم.

وقبل أن أختم كلمتي لا أستطيع أن أكتم ثنائي على ما دبجه يراع السيد الصدر في الدفاع عن خارقة الإمام المهدي ذلك الدفاع المنهجي العلمي الذي صاغه في الصورة العلمية التي تلائم روح الفكر المعاصر في الوقت الذي لم أكن

أتصور فيه أن أحدا من علماء الإسلام سيحاول تصوير هذه الخوارق في الصورة العلمية التي عالجت فيها بنفسي منذ عشرين عاما معجزة الإسراء والمعراج في صورة علمية قريبة الشبه من هذا الاتجاه الذي سلكه هذا العالم الجليل، فشجعني على ما حاولت بالأمس القريب وكم للعلامة محمد باقر الصدر من أياد بيضاء على البحث العلمي، شرعيا كان أو إنسانيا.
القاهرة ٥ / ٨ / ١٩٧٨

٦ محاورة
حول الإمامة والخلافة
بين عباسي وعلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

(٨٠)

هذا الكتاب الذي نقدمه للقراء يعتبر على الرغم من ضئالة حجمه من أعظم الكتب التي تعطينا صورة واضحة المعالم لهذا الصراع العنيف الذي كان بين الشيعة وأهل السنة في القرن الخامس الهجري، وهو صراع عقدي يقوم على أساس من الحجج والبراهين وطرح العويص من المشكلات عند الطائفتين، ابتغاء نيل كل طائفة من أختها ما تريد من غلبه وانتصار.

وقد أشرت إلى شئ من مظاهر هذا الصراع العقدي في كتابي (الآداب الإقليمية (١) عندما تعرضت للحديث عن حالة الحياة الأدبية في الحجاز في الفترة ما بين القرن الرابع والقرن السابع الهجري.

وقد لاحظت أن الغلبة وبعد الصيت كانا للعلويين في أواسط القرن الرابع حين كان العالم الإسلامي إلا القليل جدا منه كان في يد العلو بين فكانت مصر في يد الفاطميين وكان العراق وبلاد العجم وخراسان وما جاورهما في يد البويهيين، وكان الشام في يد الحمدانيين، وكان الحجاز نفسه في يد حكام من العلويين.

و ناهيك بخطورة هذه الغلبة العلوية وقيمتها التاريخية إذا عرفت أن القرن الرابع الهجري كان يمثل قمة الحضارة الإسلامية في تاريخ الإسلام كما أشار إلى ذلك آدم متز الألماني وبار تولد الروسء وغيرهما من مؤرخي الحضارات

---

١ - الآداب الإقليمية: صاحب هذه الكلمة ص ١٦٦ و ١٧٧ و ١٧٨

فلما كان القرن الخامس وأخذت الدولة البويهية يتقلص ظلها شيئا فشيئا الفاطميون ينتابهم بعض الضعف حدث هذا الصراع العقدي بين الشيعة العلويين والسنة في العالم الإسلامي، وانطلقت حدث شرارة الفتنة بين الطائفتين في شرقي العالم الإسلامي حيث الدولة السلجوقية، وقريب منها شعوب كثيرة تدين بالولاء للعلويين وكان عصر الملك (ملك شاه السلجوقي) ووزير العظيم (نظام الملك (١) الذي قتل ٤٨٦ ه – من أبرز الفترات التي اشتد فيها الصراع في القرن الخامس

ولكن هذا الصراع لم يجمد عند هذه المنطقة من شرقي العالم الإسلامي بل تجاوز ذلك و امتد حتى وصل إلى غربي العالم الإسلامي حين استقر في قلب الجزيرة العربية في نفس الوقت الذي كان يعيش فيه السلطان ملك شاه ووزيره نظام الملك.

وليس أدل على صدق ما ندعيه ما أورده المؤرخ الموسوعي ابن تغرى بردى الأتابكي وهو يحكي سيرة أحد حكام مكة في حوادث سنة ٤٨٧ ه وهو الشريف محمد بن أبي هاشم أمير مكة، حيث قال: (وفيها توفي الشريف أمير مكة محمد بن أبي هاشم، كان ظالما جبارا فاتكا سفاكا للدماء سرفا رافضيا سبابا خبيثا متلونا تارة مع الخلفاء العباسيين، وتارة مع المصريين، وكان يقتل الحجاج ويأخذ أموالهم)... إلى أن قال وقام بعده ابنه هاشم (٢).

----

١ – أنظر وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٢٨

٢ – النجوم الزاهرة: للأتابكي ج ٥ ص ١٤٠

وهذا النص يدلنا دلالة قاطعة على مدى ما بلغه الصراع بين السنة والشيعة في عصر الوزير نظام الملك، وأن هذا الصراع انطلق من شرقي العالم الإسلامي وما كاد ينطلق حتى لف العالم الإسلامي كله وبلغ قلب الجزيرة العربية حين كان يحكمها العلويون، كما يدل في نفس الوقت على ما بلغه المتعصبون من الطائفتين من التبجح بالعصبية التي نهى عنها النبي وفيها يقول النبي عليه السلام: (ليس منا من دعا إلى العصبية) الأمر الذي بلغ بالشيعة أن ينعت أهل السنة إخوانهم الشيعة بالرافضة.

وما زال هذا الخلاف المنكر يزداد يوما بعد يوم ويستفحل أمره حتى أودى بالخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦ ه.

وقد شاءت رحمة الله بالأمة أن قيض لها منذ فجر العصر الحديث رجالا يرأبون هذا الصدع، ويقربون بين الطائفتين في حوار علمي بناء يخدم الطائفتين ويزيل ما علق بهما من رواسب الماضي من بغضاء وسخائم.

وقد كان لنا - والفضل الله وحده - أبحاث ومقالات وكلمات ومقدمات دعونا فيها إلى التقريب بين شقي الأمة.

ولنعد إلى ما كنا بصدده من موضوع هذا الكتيب الصغير في حجمه الثمين في معناه قيمة التاريخية.

فأما موضوعه فهو: حوار بين علوي وعباسي حول الإمامة والخلافة وأما الزمان فقد كان في أواخر القرن الخامس الهجري، وفي عصر السلطان ملك شاه السلجوقي.

وأما المكان فهو بغداد عاصمة الخلافة العباسية
وأما المجلس فقد ضم وجهاء العلويين، ووجهاء أهل السنة وقد كان موقف الوزير نظام: الملك موقف، المنظم للحوار والحكم العادل بين المتحاورين

والوزير نظام الملك من أعظم شخصيات القرن الخامس الهجري، وهو غني عن الإشارة والتعريف ويكفيه من المفاخر والمآثر أنه أول من وضع فكرة (المدرسة) ونواة (الجامعة) في تاريخ الثقافات الإسلامية وهو المؤسس للمدرسة النظامية في بغداد وقد حباه الله بعقيدة وسط، جمع فيها بين منهج الأتباع الذي يدين به أهل السنة، ومنهج حرية النقد الذي يدين به الشيعة.

وعلى الرغم من هذه المنزلة التي حباه الله بها، فإنه لم يأمن شرور الحاقدين عليه حيث لقى مصرعه – ظلما وعدوانا – في عام ٤٨٥ ه كما نص على ذلك ابن خلكان.

وقيمة هذا الكتيب الضئيل في حجمه لا تتجلى في تصوير هذا الصراع العقدي الذي أشرنا إليه بل ترتكز حول شخصية هذا الوزير الجليل، وحول أمانته العلمية في الفصل بين المتجاورين، وفي إدارة دفة الحوار في حرية تامة وموضوعية نزيهة بغية توضيح العقيدة عند الطرفين المتنازعين، مع تدعيم كل رأي منهما بالمصادر والمراجع.

ونحن في هذا المقام لا يعنينا انتصار أحدهما الآخر، بقدر ما يعنينا من إبراز مكانة الإمام علي رضي الله عنه ومقامه المتفق عليه في علوم الإسلام وإنه كان من أصحاب الرسول بمنزلة الروح من الجسد

وقد كان للناشر الأديب والبحاثة المتتبع الأستاذ مرتضى الرضوي الحسيني فضل السبق في التنقيب عن هذا الكتيب وقد كان أول العهد به أنه عثر على نسخته وهي مخطوطة في مكتبة الأمير راجا محمود آباد في الهند بخط مؤلف الكتاب الأمير شبل الدولة مقاتل بن عطية، لختن الوزير نظام الملك وكان تاريخ العثور على هذه النسخة المخطوطة هو عام ١٢٠٠ من الهجرة النبوية.

ثم عهدت إدارة النشر والتأليف الدينية في سادات كالوني كراجي رقم ٢٥ إلى خطاط كتبه، وطبع في الأوفست في مطبعة سنده أفست مير نترزمشن رود كراجي بقطع ١٤ * ٢١ سم في ٤٨ صفحة وذلك عام ١٩٧٧ م

ثم قام أحد علماء الإمامية في بيروت بطبعة في حجم الثمن بقطع ٥ و ١١ * ٥ و ١٧ سم في ٨٠ صفحة، ثم أعيد طبعه بالأوفست في إيران عام ١٣٩٩ ه بنفس الحجم السابق.

أما عنوان الكتاب فقد طبع في المرة الأولى في كراتشي تحت عنوان: (كتاب مؤتمر علماء بغداد) وكذلك طبع بنفس العنوان في الطبعتين التاليتين، أما هذه الطبعة فقد أشرت على السيد الناشر أن يجعل عنوان هذا الكتاب (محاورة حول الإمامة والخلافة بين عباسي وعلوي) ليكون العنوان مطابقا لمحتوى الكتاب، لأن كلمة مؤتمر لم تكن تستعمل في ذلك العصر، وهي من ألفاظ الحضارة التي استحدثت في زمننا هذا

وهذا لا يؤثر في الأمانة التاريخية والعلمية، لأن هذا العنوان كان من اختراع الناشر الأول حين نشره للمرة الأولى عام ١٣٧٧ ه، وتابعه الناشر الثاني في بيروت وإيران

والآن يقوم السيد الأخ الناشر السيد مرتضى الرضوي بطبعه للمرة الرابعة في القاهرة في هذه الصورة الجميلة في صورة منسقة وإخراج جديد تحت تحت العنوان المذكور ليكون علامة على الطريق في تاريخ هذا الصراح بعامة، وتاريخ الشيعة الإمامية بخاصة وبالله التوفيق.

القاهرة

في ١٠ من شوال سنة ١٣٩٩ ه

٧ - المراجعات

أبحاث جديدة في أصول المذهب والإمامة العامة.

بسم الله الرحمن الرحيم

(٨٨)

نحمد اللهم ونستعينك ونستهديك في القول والعمل فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ونصلي ونسلم على سيد أنبيائك ورسلك محمد بن عبد الله منقذ الإنسانية من دياجير الظلام والضلال إلى معارج النور والإيمان.

وبعد فهذا سفر عظيم كتبه علمان من أعلام الإسلام في صورة حوار علمي أصيل اتصف بالنزاهة والموضوعية والبعد عن سفساف القول وهجره واتصف بالإخلاص الجم من الأصول إلى الحقيقة مبرأة من كل غرض سواها، والحقيقة هي الحكمة والعلم قرنا يطلبهما المؤمن أنى وجدهما.

كان هذا الحوار يجري بين عالمين جليلين يمثلان شطري أمة محمد (ص) السنة والشيعة وكان لكل منهما خطره ومكانته في مذهبه علما وخلقا وأدبا وبكل ما تتضمنه هذه الكلمات من معنى.

الأول منهما العالم الجليل الشيخ سليم البشري شيخ الإسلام وعمدة المحدثين في مصر.

والثاني: السيد الشريف صاحب السماحة العلامة الكبير السيد عبد الحسين شرف الدين شيخ علماء الشيعة وإمام الحفاظ والمحدثين في لبنان.

الأمر الذي جعل لهذا الحوار خطره وأثره في هذا العصر الذي جرى فيه وفي عصرنا الذي نعيشه وفي الأجيال التي تأتي بعد ذلك.

ومن عادة المتناظرين أن يصر كل منهما على الانتصار على خصمه وأن يدحض

حججه بحجج أقوى منها حتى لا يترك له مجالا من الانتصار والغلبة، ولكننا رأينا في هذين المتناظرين شيئا جديدا لا نكاد نألفه إلا في المنهج الإسلامي في فن المناظرة والجدل، ذلك المنهج هو إصرار كل من الباحثين على الوصول إلى الحقيقة أنى وجدها فلم يكن أحدهما يبغي من المناظرة الكيد لصاحبه أو النيل من علمه أو حتى مجرد الفوق عليه بقدر ما يطمع من الوصول إلى الحقيقة ولو كانت متمثلة في حجة صاحبه.

الأمر الذي حدا بهما إلى حوار علمي منظم يهدي إلى الحق ويأخذ بأيديهما وأيدي القراء إلى المنهج الإسلامي السليم وهو ما سنبسطه للقارئ في صدر هذه العجالة.

ومن عادة المتناظرين – أيضا – أن يهدفا إلى الأسلوب العلمي وحده ليصلا إلى الحقيقة من أقرب طريق، ولكن صاحبينا الجليلين مزجا بين الأسلوبين العلمي والأدبي، فكان حوارهما دائرة معارف واسعة يستلهم منها القارئ حقائق المذهبين السني والشيعي كما يستلهم منهما أفضل ما عرف من الأساليب الأدبية في مستهل القرن – الرابع عشر – وذلك ما جعل من هذا الكتاب حقلا واسعا وروضة فيحاء يجد فيها القراء كل ما يروقهم من ثمار للعلم وفوائد الأدب ويجعل من الكتاب ركنا ركينا في مكتبتنا الإسلامية ومكتبتنا العربية.

وقد استغرق هذا الحوار القيم مائة واثنتى عشرة حلقة جرت بين هذين العالمين الجليلين وكان ذلك في أوائل القرن الرابع عشر الهجري في المدة ما بين (ذي القعدة ١٣٢٩ ه، وجمادى الأولى ١٣٣٣ ه).

وقيمة هذا الكتاب تتجلى أكثر ما تتجلى في الظروف التي ظهر فيها حين

خرج إلى النور يقرأه السني والشيعي، ذلك أن هذا الكتاب خرج به مؤلفه في أوائل القرن الرابع عشر خلال العقدين الثالث والرابع، في فترة عصيبة كان فيها المستعمر يعبث بمقدرات الأمة العربية ولم يجد طريقا إلى تحقيق رغباته الدنيئة إلا ببث الفرقة بين المسلمين واستغلاله هذه الخلافات المذهبة من أجل تحطيم صرح العروبة والإسلام وقد بلغ التصدع مبلغه في أوائل هذا القرن وقد كانت له جذور عميقة منذ العصر الأموي حين افترق المسلمون في أواسط القرن الأول إلى معسكرين، المعسكر الأول بقيادة يزيد بن معاوية، والمعسكر الثاني بقيادة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وقد استفحل الخلاف بين المعسكرين حين استشهد الحسين عليه السلام في موقعة كربلاء، وظل الخلاف بين المعسكرين طوال العصرين الأموي والعباسي يدور حول الحياة السياسية ونظام الحكم ولا يكاد يمس العقيدة إلا في القليل ولم يكن من رجال الفريقين من يجرؤ على تكفير صاحبه إلا نادرا فلما انقضى العصر العباسي بغلبة المغول على دار الخلافة استحالت هذه الخلافات السياسية إلى خلافات مذهبية تمس الفروع وتتأول قضايا الفقه الإسلامي المستمد من القرآن والسنة، وعلى الرغم من أن التشريع الإسلامي يعتمد على هذين المصدرين الرئيسيين إلا أن ذلك لم يكن كافيا للقضاء على هذه الخلافات، لأن كل فريق كان يعتمد مروياته ولا يعتمد بما يرويه الفريق الآخر فالشيعة لا يعتمدون إلا على ما يروى عن أئمتهم من آل البيت، ولا يحفلون بمرويات غيرهم إلا نادرا – اعتمادا على أن النبي هم أعرف بكلام جدهم من غيرهم على حد تعبيرهم (أصحاب الدار أدرى بما فيه) – والسنة يرون أن رواية الحديث فن له رجاله المتخصصون في علوم الحديث، وعلم الجرح والتعديل،

وأن الأئمة ممن يوثق فيهم ويتبرك الناس بآثارهم ويتأسون بأخلاقهم إلا أن رواية الحديث لها رجالها المتخصصون فلا تقصر عليهم دون غيرهم وإن كان هذا الاعتراض أجاب عنه الإمامية بأن لديهم ما لدى أهل السنة من الرجال المتخصصين في علوم الحديث وعلم الجرح والتعديل ناهيك بأن في الكتب الستة عند أهل السنة كثير جدا من الرواة المعتمدين عند الشيعة كالسدي، والجعفي، والنخعي، وشعبة بن الحجاج، وطاووس بن كيسان، وعبد الرزاق المحدث وعلي بن المنذر شيخ الترمذي والنسائي وغيرهم ممن نص عليهم الإمام شرف الدين في كتابه.

وقد كان للخلافات السياسية التي منيت بها الأمة العربية والإسلامية في الداخل وعبث المستعمر وألاعيبه في الخارج أثر وأي أثر في بث الفرقة والعداوة مما حمل كل فريق على تكفير الفريق الآخر وظل هذا البلاء ينخر في صفوف المسلمين ردحا طويلا في أوائل هذا القرن.

وقد لعب التصوف – في هذه الفترة من تاريخ الإسلام – دورا خطيرا حدث ذلك حين بلغ التصوف غاية لا تسامقها غاية من حيث التطور السلوكي، وتعدد الطرق الصوفية التي بلغت فوق المائة.

ولعل هذا التطور المفاجئ الذي بلغه التصوف في أوائل هذا القرن يرجع إلى ما مني به المسلمون من فقد للسلطان المادي فلجأوا إلى السلطان الروحي يهرعون إليه يستعيضون به عما فقدوه في هذه الفترة العصيبة التي كان فيها التصوف يوم ذلك أشبه بالواحة التي يستروح فيها المسافر من عنت السفر ومشاق الطريق، فأقبل عليه الكثيرون يلتمسون فيه المتنفس الروحي حين فقدوا السلطان المادي.

أقول: لولا التصوف وطرقه العديدة في هذه الفترة، لكانت أسباب الفرقة بين السنة والشيعة أعمق وأشد مما كانت، ولكن المتصوفة بفضل ما استلهموه من آداب الإسلام، وأخلاق النبي الأعظم وما عرفوا به من تواضع ونبذ للعصبيات، وعزوف عن وضر الدنيا وزخارفها كانوا أشبه بصمام الأمن بين شقي أمة محمد عليه السلام، حين كانوا - بحكم طبيعة سلوكهم - دعاة للتآخي والتراحم، عاملين بالكتاب والسنة.

ولكن الاتجاه للصوفي وحده لا يكفي لعلاج أسباب الفرقة وقتل الخلافات المذهبية: لأنه يعتمد أكثر ما يعتمد على الأساليب في علاج المشاكل التي أشعلها المستعمر ونفخ في أوارها بين الفريقين.

ومن ثم كان لا بد لهذا الموقف من وثبة إصلاحية ونهضة علمية تعالج أسباب الخلاف علاجا جذريا.

عند ذلك ينبري هذان العلمان من بين المعسكرين السني والشيعي في فترة من أحلك الفترات التي حدثناك عنها وقد جاءا في عصر كان الفكر الإسلامي فيه أحوج ما يكون إلى من يرأب هذا الصدع ويصلح هذا الخلل الذي تدخلت فيه كل هذه العوالم السالفة لهدم الوحدة الإسلامية وكأن عناية الله سبحانه لهذه الأمة التي يقول عنها سيد الأنبياء: لم تعط أمة من اليقين ما أعطيت أمتي، أن يقيض هذين العاملين ليتربعا على عرش الفكر الإسلامي في مطلع هذا في وقت أحوج ما يكون فيه الإسلام لمن يدير أموره ويوحد صفوفه، ومن ثم كان هذا الكتاب الجليل لبنة متينة في التقريب بين شطري المسلمين، وإزالة أسباب الخلافات المذهبية بينهما.

لقد تعرض الكتاب لعدة موضوعات لا يزال الشيعة يعتبرونها أصلا أصيلا

في صلب مذهبهم في مقدمتها النص على الخلافة لعلي، وعصمة الأئمة من آل الزهراء
وعلي عليهما سلام الله وبركاته وما يراه إخوانهم أهل السنة من أن حتمية
النص ليست ملزمة إلا في العبادات وإلا كان ذلك داعيا إلى تفسيق بعض
الصحابة وهذا أمر جال نهى عنه النبي وحذر منه غاية التحذير وقد
قال قالته المشهورة في نظام الحكم:
(أطيعوهم ما أقاموا الصلاة فيكم) كذلك ما يراه أهل السنة من أن العصمة
اصطلاح لا يجوز إطلاقه إلا على السادة الأنبياء عليهم السلام
كما تعرض الكتاب لأمور كثيرة التقى عندها الطرفان منها مصادر التشريع
من أحاديث النبي وقد أثبت العلامة السيد شرف الدين أن كوكبة
المحدثين عند الشيعة وأسانيدهم مما هو موجود بنصه في مصادر الحديث عند السنة.
وذلك وحده من أعظم الأسباب الداعية إلى القضاء على العصبيات الفقهية،
والخلافات بين الفريقين، ولا نكاد نجد بعد ذلك إلا خلافات فقهية تقع في
دائرة الفروع ولا تتجاوز المسائل الفرعية في الفقه كالمسح على الرجلين
في الوضوء ورد المصلي السلام على من يلقيه عليه بلفظه، مما له شاهد من السنة
السمحاء، ولوقع هذه المسائل الفقهية بين الشيعة والسنة أشبه - في نظر المنهج
العلمي الحديث - بالخلافات الفرعية بين المذاهب الأربعة عند السنة
ونحن - اليوم - ندعو أن تكون نظر أهل السنة إلى (الشيعة الإمامة)
نظرة فقهية بحتة بعيدة عن العصبيات، وأن ينظر إلى الخلافات الفقهية بينا
وبينهم نظرنا إلى الخلافات بين الأحناف والمالكية، والشافعية والحنابلة،
وبذلك تضيق شقة الخلاف بين (الشيعة والسنة) وتزول هذه العصبيات
البغيضة إلى الأبد وعند ذلك نكون قد وفينا ما أمر الله به في كتابه الكريم

من توحيد الصف الإسلامي (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقوله: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وقوله: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ)

وبهذا وحده نقضي على الذنوب القلبية كالحسد، والحقد، والنفاق، ولا سيما إشاعة الفرقة - ذات البين - بين صفوف المسلمين وهذه من أعظم النواهي التي نهى عنها النبي، وخوف الأمة منها ووصفها بالحالقة، التي لا تبقي ولا تذر.

وقد أقر ابن عمنا الشريف فيما رواه في هذا السفر الجليل عن سلمة الجعفي: يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا، فما تأمرنا؟ فقال:

اسمعوا وأطيعوا، فإن عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم

وقال صلوات الله عليه وآله: في حديث حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - يكون بعد أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون، بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال حذيفة قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع له وأطع.

وهكذا ينبغي أن لا نتعدى هذا الأحكام العادلة في موقفنا من الصحابة وأن نفرق بين النقد الأخلاقي، والنقد السياسي، وألا نمنع الأخير ولا نحرمه وقد أقره السلف

ولو أننا منعنا جواز النقد من الوجهة السياسية فإننا نكون قد خالفنا

ما أجازه السلف والأشاعرة وهم جهابذة أهل السنة، وسفهنا أقوال المؤرخين ورميناهم بالفسوق والعصيان وكان عليهم أن يحرقوا ما كتبوه ويمحوا ما سجلوه وهذا ما لا يقول به عاقل.

إن هذه النفحة المدوية التي أحدثها هذا الكتاب الجليل، وهو يصرخ في أذن كل سني وشيعي أن: تقاربوا وتآلفوا بآداب النبي عليه السلام واعملوا بما أمر به الله ونبيه من تراحم وتوادد وتآزر وتعاطف، كان لها أثرها وليس أدل على أثر هذا الكتاب في جيلنا السالف وجيلنا المعاصر، من ظهور جماعة من قادة الفكر في مصر والعراق وإيران وغيرها من البلاد الإسلامية دعوا إلى التقريب بين المذاهب في مصر وإيران وقد حملت هذه الجمعية مشعل الدعوة وظهرت لها مجلات ونشرات دورية أعادت إلى الأذهان سيرة السلف الصالح وصدقت قول النبي فيما أخبر به من أحاديث المغيبات (أمتي أمة مباركة لا يدرى أولها خير أو آخرها)

(١) وقوله:: (ما أعطيت أمة من اليقين ما أعطيت أمتي)

وقوله: (ليدركن الرجال قوما مثلكم أو خيرا منكم ولن يخزي الله أمة أنا أولها وعيسى بن مريم آخرها)

رواه جبير بن نضير وأخرجه الحاكم في مستدركه.

وبعد فإني لا أنسى في ختام هذه العجالة أن أذكر بالتقدير أخي في الله

---

١ - الجامع الصغير ١ / ١٠٩

السيد مرتضى الرضوي على ما بذله من جهد طيب في نشر هذا الكتاب الجليل، وإخراجه في صورة محققة للقارئ المسلم في مشارق الأرض ومغاربها والكتاب خير هدية تهدى إلى كل مسلم منصف يدعو إلى التقريب ونبذ الخلاف.

الأمر الذي دعونا إليه - احتسابا بالله وحده - منذ ربع قرن، وهو ما يحملنا على أن نغبط أخانا الناشر في نشر هذا الكتاب وأمثاله، هدانا الله وإياه إلى ما يحبه ويرضاه وطهر ألسنتنا عن زيف القول وهجره وجعل أعمالنا وأقوالنا خالصة لوجهه تعالى.

٨ عبد الله بن سبأ

بسم الله الرحمن الرحيم
الطبعة الأولى
١٣٩٩ ه - ١٩٧٩ م
القاهرة

مضى ثلاثة عشر قرنا من حياة التاريخ الإسلامي كان (أنصاف العلماء) خلالها يصدرون أحكامهم على الشيعة مشبوبة بعواطفهم وأهوائهم وكان هذا النهج السقيم سببا في إحداث هذه الفجوة الواسعة بين الفرق الإسلامية ومن ثم خسر العلم الشئ الكثير من معارف أعلام هذه الفرق كما خسر الكثير من فرائد آرائهم، وثمار قرائحهم

وكانت خسارة العلم أعظم فيما يمس الشيعة و التشيع بسبب ما رماهم به مبغضوهم من نحل وترهات، وخرافات، هم في الحقيقة براء منها ولو أن هؤلاء (الأنصاف) ترفعوا بأنفسهم عن التعصب وطبقوا - وهم يكتبون عنهم، أو يأخذون منهم - مناهج البحث العلمي الصحيح، وآثروا حكم العقل على حكم القلب، وقدموا الرأي على الهوى لجاءنا علم كثير عن الشيعة ولا انتفعنا بالكثير من تراث هذا المذهب.

إن الباحث المنصف للحقائق العلمية يأخذ عن مذهب الشيعة بقدر ما يأخذ عن غيرها من المذاهب الإسلامية الأخرى وهو مضطر - إن كان منصفا - إلى دراسة فقه الشيعة حين يدرس المذاهب الفقهية الأربعة عند أهل السنة ناهيك أن الإمام جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٨ ﻫ - وهو رافع لواء الفقه الشيعي - كان أستاذا للإمامين السنيين: أبي حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة ١٥٠ ﻫ، وأبي عبد الله مالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ ﻫ وفي ذلك

يقول أبو حنيفة مقرا له بالأستاذية، وفضل السبق: (لولا السنتان لهلك لنعمان) يقصد بهما السنتين اللتين اغترف فيها من علم جعفر بن محمد

ويقول مالك بن أنس: (ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد)

ولقد كانت الطامة أعظم حين خرج على الناس بعض المحدثين الذين ينتحلون لا نفسهم سمعة العلم، ويأتزرون بإزار المعرفة، وليتهم تواضعوا، وتنزهوا عن رفع أنفسهم فوق قدرها لما أعلنوا الثورة على الفرق الإسلامية وأفردوا الشيعة بأعظم جانب منها. فأفسدوا فيما كتبوا مناهج البحث العملي، وأوصدوا دونهم أبواب العلم.

وكان – للأسف الشديد – أستاذنا أحمد أمين واحدا من هؤلاء النفر الذين حجبوا عن أنفسهم نور المعرفة في ركن عظيم من أركان الحضارة الإسلامية ذلك الركن الذي سبق فيه الشيعة غيرهم من بناة الحضارة الإسلامية، والتراث الإسلامي، فكان هذا المسلك هنة سجلها التاريخ الإسلامي كما سجلها على غيره ممن حذا حذوه من أساتذة الجامعات الذين آثروا التعصب الأعمى على حرية الرأي، وجمدوا بآرائهم عند مذهب بعينه.

وليس ذلك بالطريق السوي الذي يسلكه المحققون من الباحثين

ولعل أعظم هذه الأخطاء التاريخية التي أفلتت من زمام هؤلاء الباحثين وغم عليهم أمرها فلم يفقهوها ويفطنوا إليها هذه المفتريات التي افتروها على علماء الشيعة حين لفقوا عليهم قصة (عبد الله بن سبأ) فيما لفقوه من قصص أشرت إلى بعضها في مؤلفاتي (١) – وزعموا أن كل خرافة أو أسطورة.

---

١ – أنظر مقدمة كتاب الدكتور حامد حفني داود (مع أحمد أمين)

أو أكذوبة جاءت من فجر التاريخ الإسلامي كانت من نسج لخيال علماء الشيعة واعتبروها مغمزا يغمزون به عليهم
وها هو البحاثة الجليل (مرتضى العسكري) (يسجل لنا في كتابه) عبد الله ابن سبأ إن هذه الشخصية لم تخرج عن كونها شخصية خرافية، وإن ما أورده المؤرخون عنه من حكايات في ترويج التشيع لم يكون أكثر من أكذوبة سجلها الرواة حول هذه الشخصية الوهمية ليحملوا على الشيعة ما شاء لهم أن يحملوا، وليغمزوا ما شاء لهم أن يغمزوا.
لقد جمع هذا البحاثة المقارن تحقيقاته العلمية، وأبحاثه الشيقة من متفرقات الكتب ومنشورات الآثار، وبطون المصادر، وصال وجال في كل ميدان من ميادين التاريخ الإسلامي حتى وصل إلى هذه الحقيقة ناصعة جلية، وقد حاول الأستاذ المحقق في كل مبحث من مباحثه التي جاء بها في هذا الكتاب أن يقيم الحجة الدامغة على أعداء الشيعة وخصومهم حين استشهدوا على آرائه العلمية بنصوص ثابتة من أقوال الخصوم أنفسهم، فأقام الحجة عليهم من أقرب طريق والمطلع في هذا الكتاب يستطيع أن يقف في سهولة ويسر على التحقيقات العلمية التي أجراها المؤلف في أحاديث (سيف بن عمر) التي كانت تشغل أدمغة المؤرخين منذ ظهر التاريخ الإسلامي المدون إلى وقت قريب منا، قيض الله للتاريخ فيه جهابذة محققين لا يخشون في الله وفي الحق لومة لائم
كان الأستاذ المؤلف في الطليعة منهم، حين استطاع أن يحمل الباحثين على إعادة النظر فيما جاء به أبو جعفر الطبري في كتابه (تاريخ الأمم والملوك) وأن يحملهم على النقد التاريخي لكل ما جاء في هذا الكتاب وغيره من أمهات

كتب التاريخ بعد أن كان هؤلاء ينظرون إلى الأحداث التاريخية نظرتهم إلى المقدسات التي لا تقبل التغيير والتبديل.
وقد اسطاع المؤلف بفضل القرائن التاريخية أن يكشف اللثام عن كثير من الأحداث التاريخية وأن يوضح للباحثين الحقائق من أقرب طريق، وإن كان المؤلف قد جاء ببعض هذه الحقائق في صورة مذهلة مدهشة لمخالفتها ما اعتاده الناس وتوارثوه في معتقداتهم ولكن الحق أحق أن يتبع ولكي تقف بنفسك على صدق هذا القول ما عليك إلا أن تقرأ هذه الأحداث التاريخية التي أوردها المؤلف في كتابه واختلفت فيها الروايات مثل (بعثة أسامة) و (وفاة الرسول عليه السلام) و (حديث السقيفة)... وغيرها، وأحب أن أذيل هذا التعليق بثلاثة أسلة:
الأول: هل يخطئ الصحابي الجليل؟
الثاني: هل يجوز نقد الصحابي الجليل؟
الثالث: هل يجوز تكفير الصحابي الجليل؟ أو اتهامه بالنفاق.
أما إجابتنا على السؤالين الأول والثاني فنعم وأما الثالث فلا وليست (لا) هذه من باب الوزع الذي لا يقوم على أساس من العلم، وأنما لعلة يقبلها العقل، ويرتضيها المنطق.
وذلك لأن الكفر الخفي، أو النفاق من باب (أفعال القلوب) التي لا يعلمها إلا الله لذلك نمسك عنه القلم لأننا لا نستطيع إدخاله تحت (التجربة) لخفاء أمره علينا وهو من اختصاصات علام الغيوب سبحانه، ذلك ما يقره (المنهج العلمي الحديث) الذي وضعنا أسسه، واتبعنا ناموسه في سائر مؤلفاتنا.

استطاع المؤلف أن يصل إليها بفضل إفادته من مقارنة النصوص ومعرفة سقيمها من صحيحها في هذه الأبحاث الثلاثة، وقس على ذلك ما جاء في سائر أبحاثه خلال هذا السفر الجليل، الذي سيغير الكثير من وجهة التاريخ الإسلامي.

وأخيرا يسرني – باسم العلم – أن أعلن إعجابي بهذا السفر الجليل وبصاحبه العلامة المحقق السيد / مرتضى العسكري كما يسرني بهذه المناسبة أن أنوه عن الجهد العظيم الذي بذله السيد / مرتضى الرضوي الذي أعان القراء والباحثين على إخراج هذا السفر إلى حيز الوجود في هذه الصورة الجميلة من الطباعة الدقيقة، وهو بنشره هذا البحث القيم قدم للعالم الإسلامي خدمة عظيمة سيكون لها أكبر الأثر في تقديم الحقائق التاريخية في الإسلام

القاهرة في أول جمادى الأول ١٣٨١ ه

١٢ أكتوبر ١٩٦١ م

٩ الصحابة
في نظر الشيعة الإمامية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١٠٨)

في رحلتي إلى القاهرة في عام ١٣٩٨ ه ذهبت لزيارة الأخ الأستاذ الكبير الدكتور حامد حفني داود وكان ذلك في أوائل شهر شعبان المعظم وكنت قبل عامين طلبت منه أن يكتب تقديما لكتاب: (مع الخطيب في خطوطه العريضة) للكتاب الإسلامي الكبير العلامة الشيخ لطف الله الصافي وقد فقد مع الأسف ذلك التقديم وإن لعلي علم من أن الدكتور حامد يحتفظ بمسودات كل ما يكتب وينشر وهو حريص على حفظها وإذا بي أفق على تقديم لكتاب: (الصحابة في نظر الإمامية) للعلامة الكبير الشيخ أسد حيدر وكنت قد طلبته منه قبل ثلاثة عشر عاما وقد قدمته إلى الرقابة في العراق قبل الطبع مع كتابين آخرين أحد ما: (مع الشيخ أبي زهرة في كتابه الإمام الصادق) وكان قد قدم لهذا الكتاب: فضيلة الأستاذ الكبير عبد الكريم الخطيب صاحب المؤلفات الخالدة وأما الثاني فلا يخطر على بالي الآن وقد ضاعف الكتب الثلاثة مع تقديم الأساتذة لها على يد شيخ عبد عاتي ويا للأسف في ذلك الوقت كان هذا الشيخ مراقب المطبوعات وعلى كثرة مراجعتي له وإلحاحي عليه بإعادة الكتب أجاب:

الكتب استلمها الشيخ أسد حيدر - قال هذا لأن الكتب الثلاثة كانت بقلم الأستاذ الكبير والكاتب الإسلامي الجليل الشيخ أسد حيدر -

وبعد هذا راجعت أستاذنا الشيخ أسد حيدر وأخبرته بما قاله: العاتي فأجاب بالنفي وهذا نص ما كتبه الدكتور حامد قبل أعوام:

في أغسطس من عام ١٩٦٥ م زارني الناشر العراقي السيد مرتضى الرضوي وأطلعني على سلسلة (بحوث إسلامية) منها: (المذهب الجعفري: نشأته وعوامل انتشاره و (الشيعة وفنون الإسلام) و (القرآن والعقيدة)
و (رجال الصحاح من الشيعة) و (الزهراء) و (مع الشيخ أبي زهرة في كتابه: الإمام الصادق و (الصحابة في نظر الشيعة الإمامية) و (آراء الإمامية في مباحث الفقه الإسلامي)
وقد طلب من السيد مرتضى أن أكتب مقدمة لبحث من أبحاث هذه السلسلة أصل فيها بين القراء والكتاب، وأقرب فيها بين وجهات النظر بين الشيعة والسنة فاخترت من بينها كتاب: (الصحابة في نظر الإمامية) وعلى الرغم من أنه موضوع معقد في تفريعاته صعب في إصدار الأحكام فإن رغبتي الملحة في تقريب وجهات النظر بين الشيعة والسنة – وهم أهل قبلة واحدة – حملتني على أن أركب الصعب وأذلل العقبات وأن أبدأ الموضوع بدءا جذريا يتجه إلى الأعماق في توضيح عقيدة أهل القبلة وينفى منهم إصر الفوارق التي صنعها المغرضون من الطرفين ونماها المستعمرون ليفرقوا بين طوائف المسلمين وعساني بالله وحده أصل إلى ما أريد من تقريب وجهات النظر، في الوقت الذي أعترف فيه بأني أسير لأخي الناشر وصنيعه الطيب في نشر هذه

الأبحاث القيمة مقرونة بمقدمات ضافية كتبت بأقلام مشاهير الكتاب في الجمهورية العربية المتحدة
وكم للسيد مرتضى من يد بيضاء على الدراسات الإسلامية يحمدها له الجميع.
- ٢ - لعل من أشق المسائل العلمية التي اعترضت الباحثين في العقيدة والشريعة والحقيقة موضوع (عدالة الصحابة) من انطباقها كحكم عام على جميع أفراد الصحابة أو قصرها على بعضهم دون البعض
وقديما تعرض لها المعتزلة فيما تعرضوا له من مسائل العقيدة، ولم يكتفوا فيما تعرضوا له بعامة الصحابة بل تعرضوا للخلفاء أنفسهم، وكان لهم في ذلك خصوم ومؤيدون.
وقد كان موضوع نقد الصحابة قاصرا - في القرون الأولى - على الراسخين في العلم وبخاصة علماء المعتزلة، وسبقهم في هذا الاتجاه رؤوس الشيعة وزعماء المتعصبين لآل محمد.
وسبق أن أشرت في غير هذا الموضع أن علماء الكلام وشيوخ المعتزلة كانوا عالة على زعماء الشيعة منذ القرن الهجري الأول وعليه فقضية (نقد الصحابة) إنما هي وليدة التشيع لآل محمد، ولكنها كانت وليد التشيع لا لذات التشيع.

بل لأن المتشيعين لآل محمد عرفوا بتبحرهم في علوم العقائد بسبب ما نهلوا من موارد أئمة آل البيت وهم المصدر الأصيل والمعين الفياض الذي نهلت منه الثقافات الإسلامية منذ صدر الإسلام إلى اليوم.

يرى أهل السنة: أن الصحابة كلهم عدول، وأنهم جميعا مشتركون في العدالة وأن اختلفوا في درجتها.

وأن من كفر صحابيا فهو كافر ومن فسقه فهو فاسق.

وأن من طعن في صحابي فكأنما طعن على رسول الله.

وأن من طعن على حضرة الرسول عليه السلام فهو زنديق بل كافر

ويرى جهابذة أهل السنة أيضا أنه لا يجوز الخوض فيما جرى بين علي رضي الله عنه ومعاوية من أحداث التاريخ.

وأن من الصحابة من اجتهد وأصاب وهو (علي) ومن نحا نحوه

وأن منهم من اجتهد وأخطأ مثل معاوية وعائشة رضي الله عنها ومن نحا نحوهما.

وأنه ينبغي – في نظر أهل السنة – الوقوف والإمساك عند هذا الحكم دون التعرض لذكر المثالب.

ونهوا عن سب معاوية باعتباره صحابيا، وشدوا النكير على من سب عائشة باعتبارها أم المؤمنين الثانية بعد خديجة وباعتبارها حب رسول الله وما زاد على ذلك فينبغي ترك الخوض فيه وإرجاء أمر إلى الله سبحانه:

وفي ذلك يقول أبو الحسن البصري وسعيد بن المسيب:

تلك أمور طهر الله منها أيدينا وسيوفنا فلنظهر منها ألستنا.

هذه خلاصة آراء أهل السنة في عدالة الصحابة وفيما ينبغي أن نقف منهم.

- ٣ - أما الشيعة فيرون أن الصحابة كغيرهم تماما لا فرق بينهم وبين من جاء بعدهم من المسلمين إلى يوم القيامة.

وذلك من حيث خضوعهم لميزان واحد هو ميزان العدالة الذي توزن به أفعال الصحابة كما توزن به أفعال من جاء من بعدهم من الأجيال

وأن الصحبة لا تعطي لصاحبها منقبة إلا إذا كان أهلا لهذه المنقبة وكان لديه الاستعداد للقيام برسالة صاحب الشريعة (ص)

وأن منهم المعصومين كالأئمة الذين نعموا بصحبة الرسول عليه السلام كعلي وابنيه عليهم السلام.

ومنهم العدول وهم: الذين أحسنوا الصحبة لعلي بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى.

ومنهم المجتهد المصيب، ومنهم المجتهد المخطئ.

ومنهم الفاسق، ومنهم الزنديق - وهو أقبح من الفاسق وأشد نكالا - ويدخل دائرة الزنديق المنافقون والذين يعبدون الله على حرف

كما أن منهم الكفار وهم الذين لم يتوبوا من نفاقهم والذين ارتدوا بعد الإسلام.

ومعنى هذا أن الشيعة - وهم شطر عظيم من أهل القبلة - يضعون جميع المسلمين في ميزان واحد ولا يفرقون بين صحابي وتابعي ومتأخر

كما لا يفرقون بين مفرق في الإسلام وحديث عهد به إلا باعتبار درجة الأخذ بما جاء به حضرة الرسول صلوات الله عليه والأئمة الاثني عشر من بعده،
وأن الصحبة في ذاتها ليست حصانة يتحصن بها من درجة الاعتقاد
وعلى هذا الأساس المتين أباحوا لأنفسهم - اجتهادا - نقد الصحابة والبحث في درجة عدالتهم
كما أبا حوا لأنفسهم الطعن في نفر من الصحابة أخلو بشروط الصحبة وحادوا عن محبة آل محمد عليه السلام.
كيف لا، وقد قال الرسول الأعظم: (إني تارك فيكم ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي آل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.
وعلى أساس من هذا الحديث ونحوه يرون أن كثيرا من الصحابة خالفوا هذا الحديث باضطهادهم لآل محمد.
ولعنهم لبعض أفراد هذه العترة ومن ثم
فكيف يستقيم لهؤلاء المخالفين شرف الصحبة.
وكيف يوسموا بسمة العدالة؟!!
ذلك هو خلاصة رأي الشيعة في نفي صفة العدالة عن بعض الصحابة وتلك هي الأسباب العلمية الواقعية التي بنوا عليها حججهم
- ٤ -
والمتأهل يرى أن الفرق بين هذين الموقفين كالفرق بين المنهج الأخلاقي

فالمنهج الذي بنى عليه أهل السنة حكمهم في عدالة الصحابة هو: (المنهج الأخلاقي).

وهو يقوم على أساس من إرجاء الأمور إلى الله.

وليس معنى حكمهم هذا أنهم يفرقون بتساوي الصحابة في درجة العدالة وإنما يكيلون الأمور إلى الله، ويجأرون إلى الله من انتقاض واحد من أصحاب محمد عليه السلام إلا أن يكون منافقا متفقا على نفاقه بنص من القرآن أو بإشارة من الرسول الأعظم.

ولعل حجتهم في إرجاء الأمور إلى الله ما كان من موقف الرسول عليه السلام من ابن عبيد الله بن سلول حين طلب الابن قتل أبيه المنافق واستأذن في ذلك حضرة الرسول عليه السلام، وخشي الابن أن يتولى ذلك دونه أحد الصحابة فيكون ذلك سببا في الوقيعة وإثارة الحفيظة وجلب المعرة.

ولكن الرسول عليه السلام لم يرض بقتل عبيد الله بن سلول معللا ذلك بقوله الحكيم:

لا تفعل حتى لا يقال إن محمدا يقتل أصحابه...!

وهذه حجة لها بعض الوجاهة في الموقف العام من الصحابة ولكنها ليست كل شئ.

أما الشيعة: فهم يستمسكون – على ما أزعم لهم – بأسباب متينة من (المنهج العلمي) ويقدمون عدالة الحق على فضيلة الإرجاء وترك الأمور لمن بيده وحده حساب مخلوقاته.

وأزعم لهم في ذلك حجة من كلام الرسول في خطابه لسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء في قوله:
(يا فاطمة بنت محمد اعملي ما شئت فإني لا أغني عنك من الله شيئا
ومن هذا الحديث نعرف – عن يقين – أن العمل مقدم على الصحبة
وأي صحبة أقرب إلى حضرة الرسول من صحبة ابنته وبضعته الطاهرة فاطمة عليها السلام.
وهذا النص السابق يدل بطريق التلميح لا التصريح على أن الصحابة ليسوا جميعا في مقام العدالة.
فإن هذا الخطاب مراد به العموم والتشريع، فإنه لا يشك شاك
في جلال فاطمة ومكانتها من نفس النبي ولا في شدة استمساكها بما جاء به
ويؤيد هذا المعنى قوله عليه السلام في مقام المرأة المخزومية التي سرقت وشفع لها أسامة بن زيد:
(والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها)
فالمراد بهذه العبارة أن فاطمة في أعلى مقام من نفس الرسول عليه السلام
وأن هذا حكم عام يتناول جميع الصحابة حتى فاطمة التي هي في أعلى مقام من الصحبة والقرابة.
وإذا ثبت هذا ثبت ضده ممن خالف السنة وحاد عما جاء به النبي، وهم الذين ينفي عنهم إخواننا الشيعة معنى العدالة.
هذا في مقام التلميح أما في مقام التصريح فهناك نصوص من القرآن
والحديث تدل على خروج بعض الصحابة عن معاني الصحبة فضلا على دلالتها على نفاقهم بل كفرهم.

ولكن هذا – في نظري – ينطبق فقط على النادر القليل منهم فهناك آيات المنافقون وقد امتلأت بها سورة التوبة وقد كان الكثيرون منهم يعيشون في مركز الدعوة الإسلامية مع حضرة النبي عليه السلام في المدينة (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم...)

وقد وسمهم القرآن بسمة الكفر بل بالغ في تصوير آثامهم وأنهم أشد خطرا من الكفار أنفسهم.

ولذلك توعدهم كما توعد الكفار تماما، بل صدرهم عليهم في مقام الوعيد.

فقال سبحانه: (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم).

ولولا رحمة الله بخلقه وحلمه على عباده وأنه ستار رحيم لسرد لنا سبحانه أسماءهم في القرآن واحدا واحدا ولكشف لنا عما تكنه قلوبهم من كفر وما تخفيه من آثام.

وفي ذلك يقول سبحانه: (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله محزج ما تحذرون...)

وقد نما حضرة الرسول صلوات الله عليه منحى القرآن ونهج نهجه فاكتفى بذكر صفات المنافقون ممن شاهدوه وله يعملوا بمنهجه القويم

وكيف لا وهو الرؤوف الرحيم المتخلق بأخلاق الله سبحانه من حيث الرحمة بمخلوقاته تعالى ومعاملة أصحابه بالحلم والرأفة والعطف والصبر من أجل تدعيم هذا الدين القويم

وأما تصريحه بذكر اسم واحد من الخارجين عليه من أصحابه فكان أشد ندرة من الكبريت الأحمر.

ومن هذا ما ذكر في شأن مروان بن الحكم.

فقد روى الحاكم في كتاب الفتن والملاحم من (المستدرك) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه قال:

كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به للنبي فيدعو له، فأدخل عليه مروان الحكم فقال:

(هو الوزع بن الوزع الملعون بن الملعون) (١) وكلام الأنبياء حق، فما بالك بكلام سيدهم أقول: وهذا الحديث يؤيده الواقع.

ولكن تصريح الرسول بذكر أسماء المنافقون من أصحابه أمر شديد الندرة وهو شئ يتفق مع أخلاق النبوة.

ومن هنا لاحظت أن أكثر الأحاديث الواردة في المنافقين والمارقين من معاصريه صلوات الله وسلامه عليه كانت تذكر بطريق الكناية دون التصريح، كقوله في قاتل (علي) رضي الله عنه:

يا علي، أتدري من أشقى الناس (فقال: الله ورسوله أعلم، فقال: أشقى الناس: عاقر ناقة صالح وضارب هامتك)

ومن ذلك ما روي عن عبد الله بن عباس قال: إن النبي قال:

ألا إنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم

----

١ - وأنظر: حياة الحيوان للدميري ج ٢ / ٣٩٩ س ٢٥.

وفي رواية أخرى (فأقول: سحقا سحقا)
ومن روايات علماء الشيعة في ذلك قول العلامة الحلي في شرح التجريد:
والمحارب لعلي عليه السلام كافر لقول النبي (حربك يا علي حربي)
قال: ولا شك في كفر من حارب النبي (١)
وتخلص من ذلك أن أكثر ما جاء من ذكر المنافقين والمارقين في أحاديث الرسول عليه السلام كان بطريق الكناية لا التصريح بأسمائهم
وإن أكثر هذه الأحاديث الواردة فيهم تقع تحت باب (أحاديث المغيبات)
وفصل الخطاب في موضوع عدالة الصحابة يستوجب منا - لتكون أحكامنا قريبة من الحقيقة
أن نوفق في هذا البحث بين منهج الأخلاق ومنهج العلم، فلا نحن نسئ الظن بالسواد الأعظم من الصحابة فنجا في المنهج الأول الذي ارتآه السنة ولا نحن نغمض أعيننا عما وردت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية بإدانتهم - ولو بطريق التلميح والكتابة والتعريض - فنجا في لو فعلنا ذلك المنهج الثاني الذي آثره إخواننا الشيعة
بل نحن نجمع بين هذا وذاك، ونضع كل واحد منهم تحت أضواء من المنهج الذي يلائم طبيعته وبذلك نصل إلى أحكام إن لم تكن يقينية فهي أقرب إلى اليقين.
وقد يكون الخلاف بين شقي هذه الأمة خلاف شكلي للغاية وذلك إذا استطعنا أن نخرج المنافقين والمارقين الذين وردت فيهم النصوص من مفهوم كلمة (الصحابة).

----

١ - وانظر: الدرجات الرفيعة ص ٣٣

لكن العقبة التي تقف أمامنا هو كيفية إخراجهم لأنه ليس لدينا نصوص صريحة بأسمائهم اللهم إلا النادر كعبد الله بن سلول وثعلبة.
على أن هذا النادر نفسه مختلف في بعضه، وإذا كانت السنة والشيعة تتفقان على أن المنافقين والمارقين ليسوا من الصحابة في شئ، فإن شقة الخلاف تكون قد آذنت بالزوال تماما ولم يبق أمامنا إلا الصحابة من أهل الغفلة.
فإن أهل السنة يوجبون عدالتهم، لأن العبرة عندهم بأفعال القلوب
وأما الشيعة فينقضون عدالتهم ويعتبرون (أبا هريرة) من هذا الطراز
هذه مسألة تحتاج إلى بحث مسهب أبرأ إلى الله من الحكم فيها في هذه المقدمة الوجيزة.
- ٥ -
وأنا - وإن كنت سنيا - إلا أن الوفاء بالبحث والأمانة العلمية التي يفرضها على (المنهج العلمي الحديث) كل ذلك يحملني على أن أذكر في هذه المقدمة الأسباب التي حملت العلامة الشيخ أسد حيدر صاحب كتاب: (الصحابة في نظر الإمامية) على إيثار منهج العلم على منهج الأخلاق فيما استعرضه من نقد الصاحبة واستحق من أجله الحمد والتكريم.
١ - وأول هذه الأسباب والمبررات ما شحنت به كتب السنن من الأحاديث الغريبة التي لا يقرها العقل والذوق العاديين، والتي يرى البعض أنه لا مسحة عليها من نور النبوة.
وهي في نظرهم متخاذلة لا تكاد تنهض إلى مرتبة الأسلوب النبوي الشريف
وهذه الأحاديث الغريبة وإن كانت قليلة أو نادرة في بعض الأسانيد

وكتب الصحاح المعتمدة إلا أنها تسئ إلى جلال الحديث النبوي ولم تشرفنا أمام أعدائنا المستشرقين الذين يتربصون بالإسلام الدوائر ويتمنون له الأخطاء والعقابيل لكي يكيدوا لنا وينالوا من ديننا القويم.

ومن هذه الأحاديث حديث سحر بنات لبيد لحضرة النبي عليه السلام فإن المحدثين بعتمدون هذا الحديث ويعتبرون أن النبي عليه السلام أصابه السحر ثم يقولون إن السحر لم يصب عقله الشريف بل أثر في مزاجه وجسده أقول: وهذا تلفيق من الشراح واضح العور وأنا لست أشك في صحة الخبر ولا في صحة نزول خادمة وأمين وحيه جبرئيل عليه السلام بسورة المعوذتين ولا في إخراج السحر من البئر المذكورة (بئر معونة) في شروح الحديث ولكن الذي لا نصدقه أن السحر أثر في عقله أو في مزاجه أو حسده الشريف لأن النبوة عند الله أكرم مما يتصوره هؤلاء الشراح بكثير جدا غاية ما في الأمر أن هذا الحديث ينزل منزلة التشريع من حيث الاعتقاد بالسحر كما نعتقد بنص القرآن في قصة هاروت وماروت وأن السحر يؤثر في سائر البشر حاشا الأنبياء والمرسلين لأنه لا يليق بمقام الوحي أبدا وعلى هذا فإني وإن صححت الحديث من حيث إجراء السحر من بنات لبيد المذكورين في الراوية إلا أني أنكر صحة تأثيره في حضرة النبي عليه السلام.

بل أعتبر القائل بتأثيره على عقله الشريف كافيا والقائل بتأثيره على مزاجه أو صحته الجسمية فاسقا أو جاهلا صاحب غفلة فالاعتقاد بوجود السحر وعلومه شئ، والاعتقاد بتأثيره على عقول الأنبياء شئ آخر.

ومن هذه الأحاديث الغربية الحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري ومسلم:
(إن جهنم لا تمتلئ حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول: قط قط)
ولا يحتاج هذا الحديث إلى تعليق إلى الإشارة إلى كونه ينافي مقام التنزيه للبار سبحانه
ومن هذا حديث الاغتسال من الجنابة المروي عن عائشة رضي الله عنها:
أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجال يجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل؟ وعائشة جالسة فقال صلى الله عليه وسلم:
(إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل) وهذا الحديث أيضا لا يحتاج إلى تعليق في منافاته لآداب النبوة وحاشا لرسول الله أن يقول بمثله.
٢ - وثاني هذه المبررات التي حملت المؤلف على اقتفاء منهج العلم في نقد الصحابة إغفال الكثير من المحدثين للأحاديث عن أئمة آل البيت كعلي وابنيه أبي محمد الحسن وأبي عبد الله الحسين والإمام الفقيه أبي عبد الله جعفر الصادق عليهم السلام على حين لاحظ كما لاحظ المتقدمون من علماء الشيعة هذا الركام الزاخر من الأحاديث المروية عن أبي هريرة وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم.
فقد روى أصحاب الأسانيد والسنن عن أبي هريرة خمسة آلاف حديث.
ورووا عن ابن عمر ألفين وستمائة وثلاثين حديثا.
ورووا عن عائشة ألفين ومائتين وعشرة أحاديث.
٣ - وثالث هذه المبررات في النقد أن غرض المؤلف هو لتثبت من

الأحاديث وليس هو التجريح لرواتها.
وأن ما يهدف إليه هو تنزيه كلام حضرة الرسول من كل شطط ونقص يمس كرامة الإسلام حتى نكون في مأمن من نقد علماء الاستشراق الذين يتربصون بالإسلام الدوائر ويريدون به الشر للذي يغلي في قلوبهم من حقد وكراهية.
٤ - ورابع هذه المبررات ما يهدف إليه المؤلف من تقديم آل بيت النبوة على غيرهم في رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف لا يكون ذلك؟ وقد نشئوا في مدارج الوحي وتربوا في معارجه.
ورضعوا من أفاويق النبوة وتوارثوا رسالة التشريع كابرا من كابر وإذا كان يحل لغيرهم رواية أحاديث جدهم عليه السلام فهم أولى بذلك من هذا الغير، وكما يقال: (إن أهل الدار أدرى بما فيه).
فإيثار الشيعة للأحاديث المروية عن الإمام علي وبنيه قائم على أساس من حب آل بيت النبوة وهو أمر أوجبه القرآن نفسه.
(قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى).
وقد نص عليه حضرة الرسول عليه السلام في مئات الأحاديث، بل إن مبغض على منافق بنص الحديث الشريف:
(يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق).
وهذا لا يتعارض مع الحديث الآخر: (يا علي هلك فيك اثنان: محب غال وعدو قال).

فإن المراد بالمحب الغالي المؤلهون والمقدسون.
أو الذين أفردوه بالحب وحده وأبغضوا في نفس الوقت جميع الصحابة وهذا ما نزه عنه الشيعة الإمامية.
ولا غبار على الشيعة أن يتعصبوا للأحاديث المروية عن الإمام علي ومن ورثه من بيت النبوة للذي عرف به من فضائل كثيرة لا مجال لإفرادها بالحديث في هذا المقام.
بل وإن المفاضلة بين الراشدين لا تزال موضع جدال بين علماء الأمة إذا استثنينا من قهرتهم السياسة.
ومما سمعناه أن مالكا كان لا يرى مجالا للمفاضلة بينهم، أي أنه كان لا يرى تفضيل أحدهم على الآخر، وأن ترتيبهم الوارد في الحكم الإسلامي إنما هو ترتيب تاريخي زمني فقط.
وقريب من هذا ما سمع عن الشافعي فقد كان يرى أن الأحاديث الواردة في فضائل علي أكثر من غيره من الراشدين.
فالمفاضلة الواردة على أساس الترتيب التاريخي غير مقطوع بها عند السنة.

- ٦ -

وقد يسألني القارئ عن الأسباب النفسية التي حملت علماء الشيعة على التعصب لمنهج العلم وإيثاره على غيره من مناهج في نقد الصحابة وربما كان محور هذه الأسباب يرجع في أساسه إلى اضطهاد الأئمة الاثني عشر أنفسهم فقد كان أئمتهم من آل علي و فاطمة عليهم السلام يطاردون من الحكم

في جميع بقاع الدولة الإسلامية ولا سيما في العراق موطن الخليفة العباسي وقد أثبت التاريخي أن ما من أحد منهم إلا ومات مقتولا أو مسموما إذا استثنينا محمد المهدي المنتظر ابن الإمام الحسن العسكري.

وثاني هذه الأسباب التي حملتهم على هذا الاتجاه النفسي ما رماهم به الخصوم كذبا وبهتانا – من تأليه لعلي تارة ومن إلحاق النبوة به تارة أخرى حين يزعمون لهم أنهم قالوا: بأن جبريل أمين الوحي أخطأ فأعطى الرسالة لمحمد على حين كان يراد بها علي.

والشيعة الإمامية براء من هذا البهتان العظيم إذا لا يوجد هذه في كتبهم ولم نسمعه من أحدهم.

وهذه فرية أظهرها خصوم الشيعة الإمامية وإن صح هذا الادعاء فهو منسوب إلى المتطرفين الذين يسميهم التاريخ (أتباع علي إله)

وكان من جراء هذا أن جهل كثير من المسلمين في العالم الإسلامي حقيقة الشيعة الإمامية فتنسبوا إليهم ما هم براء منه من تقديس لعلي ومن تكفير لشيوخ الصحابة ومن اعتقاد في الخزعبلات التي تتنافى مع العلم

وأقبح من ذلك أن يقع جماعة من الباحثين المحدثين في فهم طوائف الشيعة فلم يفرق بين الإمامية:

وهم المعتدلون من الشيعة وبين غيرهم من المؤلهة والرافضة

بل يعتبر جميع الشيعة تحت لواء واحد من الاعتقاد.

وكان أحمد أمين واحدا من هؤلاء الباحثين الذين ضلوا سبيل البحث في دراسة طوائف الشيعة.

تقرأ كتابات هؤلاء المحدثين فيخيل إليك أن الباحث منهم يكتب وكان الشيعة ليسوا منا أهل القبلة وهذه المثلة القبيحة والفرية الخبيثة المدعاة على الشيعة الإمامية – لا شك أنها – ستقر بها أعينهم عند الله يوم القيامة يوم ترد المظالم إلى أهلها.

– ٧ – هذا المنهج العلمي الذي سلكه الشيعة في النقد منذ الصدر الأول من الإسلام وقف بهم موقف المجاهدين في كل عصر حين تآمر الحكام وأولوا الأمر على أئمتهم من آل بيت النبي.

وقد كان ذلك حين أصبحت الحكومة الإسلامية في يد أعدائهم الأمويين لا في أيديهم ثم اشتدت الأزمات على الأئمة العلويين وحلت بهم الكوارث حين تلقف لواء الحكم أبناء عمهم العباسيون من أعدائهم الأمويين وتصدروا للحكم دونهم، فكانوا أعرف بهم من أعدائهم الأول.

ومن ثم اشتد الاضطهاد وعظمت البلية.

وحين وقعت هذه الأحداث ازداد التفاف الشيعة حول أئمتهم وتحول حبهم من حب سياسي إلى حب عقائدي عميق الجذور لا يخشون من أجله في الله لومة لائم ولا يخافون بسببه سلطة الحاكم ولا قهر العدو.

وربما كان هذا الموقف هو الذي دفع بالحكام العباسيين إلى اضطهاد الشيعة دون غيرهم أي أن هذا الاضطهاد أساسه سياسي وهو التفافهم حول آل محمد

وبمعنى أوضح إن نقد الشيعة لبعض الصحابة لم يكون السبب الأصيل لعقاب الحكام لهم.
وإنما السبب الأصيل هو كونهم شيعة.
وبمعنى أكثر وضوحا لو وقع هذا النقد من غير الشيعة لما استوجب النكير على الناقد.
ومن هنا اتسعت رقعة الخلاف بين حكام العباسيين وبين الشيعة فرموا من رموا منهم بالفكر أو الفسق.
ولعل هذا الموقف السياسي هو الذي أخفي على سواد الأمة الإسلامية كثيرا من محاسن علماء الشيعة ومآثرهم الكريمة في الثناء على الإمام علي والأئمة من بعده في الوقت الذي اتهمهم فيه هذا السواد من الأمة بسبب الشيخين أبي بكر وعمر.
وهو أمر لا يصدق في حق الشيعة الإمامية المعتدلين الذين لا يذهبون في أحكامهم إلى أكثر من تفضيل علي على غيره وإعلان أحقيته في الخلافة ولا يرون تكفير أحد من أعيان الصحابة رضوان الله عليهم لأن القاعدة المشهورة:
من كفر مؤمنا فقد كفر
وأما النقد والمفاضلة اللذان ينتهجهما الشيعة المعتدلون في أحكامهم فلا يسمان الآخذ بهما بسمة الكفر فضلا عن الفسق بل هو رأي اجتهادي يقوم على دليل عند قائله.
وأحب أن أشير في هذه العرض إلى كلمة الإنصاف التي ذكرها الأستاذ

أسد حيدر في معرض حديثه عن نقد الصحابة حين استعرض رأي العلامة الجليل آل كاشف الغطاء في أمر سب الخلفاء والصحابة وأنا أقفل للقارئ الكلمة بنصها بين قوسين احتراما للأمانة العلمية

و و... لعل قائلا يقول: إن سبب العداء بين الطائفتين أن الشيعة ترى جواز المس من كرامة الخلفاء أو الطعن فيهم، وقد يتجاوز البعض إلى السب والقدح مما يسئ الفريق الآخر طبعا ويهيج عواطفهم فيشتد العداء والخصومة بينهم.

والجواب إن هذا لو تبصرنا به قليلا ورجعنا إلى حكم العقل بل والشرع أيضا لم نجده مقتضيا للعداء أيضا

أما (أولا) فليس هذا من رأي جميع الشيعة وإنما هو رأي فردي من بعضهم وربما لا يوافق عليه الأكثر

كيف وفي أخبار أئمة الشيعة النهي عن ذلك فلا يصح معاداة الشيعة أجمع لإساءات بعض المتطرفين...) إلى آخر ما قاله آل كاشف الغطاء مما هو مدون بقلم المؤلف في هذا الكتاب

- ٨ - ولا يفوتني في هذه المقدمة أن أعلن دفاعي عن الشيعة المعتدلين وهم السواد الأعظم من الشيعة الإمامية، بل قد يؤدي بي التعمق في الأحكام ألا أجد فرقا ذا بال بين الشيعي المعتدل والسني المعتدل.

ولا أجد بينهما من فاصل أو مسافة إلا كما أجد بين سواد العين وبياضها ولئن حب آل محمد هو أسمى ما يباهي به الشيعة الإمامية فكذلك

هو الأمر في أهل السنة، بل إن حب آل محمد من أخص خصائص العارفين من أهل السنة وقد أحسن ابن إدريس في قوله:

- إن كان رفضا حب آل محمد * - فليشهد الثقلان أني رافضي

ونحن نرى من واجبنا كباحثين الدفاع عن الشيعة الإمامية المعتدلين، ومنهم الحبر الأستاذ أسد حيدر

وقد رسم أمامنا في هذا الكتاب الخطوط العريضة في أوصاف الشيعي الحقيقي المذهبي الجعفري المعتدل

فقد ذكر لنا أن الشيعة المعتدلين - وهم أتباع المذهب الجعفري - لا يكفرون الصحابة، وحاشاهم، ولا يدعون الربوبية لآل البيت، ولم يأخذوا تعاليمهم من مجوس الفرس والهند كما أدعى ذلك جهلاء الباحثين دعاة التفرقة الإسلامية

ولم يغيروا نصوص القرآن أو يحرفوا الكلم عن مواضعه، وحاشاهم.

ولم يبتدعوا مذاهب خارجة عن مفاهيم الإسلام.

وقد استمدوا أحاديثهم من رواية آل محمد.

كما استمدوا أصولهم الفقهية وعباداتهم عن الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق محض الممارسة والتلقين العملي قبل الممارسة والتقليد الأبتر فلا أقل من أن نجازيهم بكلمة الإنصاف.

- ٩ - وأخيرا أقول: يا معشر أهل القبلة تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، يفتح الله علينا وعليكم ويرد بها كيد الكائدين من دعاة التفرقة والاستعمار

ونشر الالحاد في نحورهم
ويا معشر علماء أهل القبلة أنتم جديرون بتوحيد الصفوف وتصحيح العقيدة لأن الإسلام يربأ بكم عن الاتجار بالسياسة على حساب الدين فتحدث التفرقة التي حدثت في العصور الخوالي بسبب مزج الدين بالسياسة، والاتجار بالسياسة على حساب الدين.

والدين القويم أعلى منزلة من السياسة، تتصعد إليه السياسة ولا ينزل هو إليها أبدا.

ويوم تجتمع الكلمة وتوحد الصفوف ويقرب ما بين هذه المذاهب الفقهية الخمسة (الجعفري والحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي) من حيث توحيد وجهات النظر وسلامة القصد وتحرى الصواب وطهر الطوية يكون الدين كله لله ويرفع الله يومئذ عن هذه الأمم الإسلامية ما ران على قلوبها من صدأ العصور الخوالي، ويكشف عنها ما تليد فوق سمائها من سحب النقم والمقت والغضب وعسى أن يكون ذلك اليوم قريبا.

كتبه في ليلة النصف من شعبان
الموافق ١ من أغسطس سنة ١٩٧٦ م
القاهرة

- ١٠ -
أحاديث
أم المؤمنين عائشة
وأدوار من حياتها

بسم الله الرحمن الرحيم
(أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدى
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة
ضلالة، وكل ضلالة في النار).
بهذه الكلمات كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يفتتح مجالسه العلمية بين أقرانه من الصحابة وتلاميذه من التابعين، وهو حين يبدأ بها مقاله العلم إنما يعني أسمى ما يقصد إليه علماء الدين، وطلاب الحقيقة من حيث السعي وراء الحق وحده، والابتعاد عن الضلالة والزيغ وهجر القول وفحشه.
وأنه لا سبيل إلى ذلك بالاستمساك بركني الدين الحنيف وهما: كلام الله سبحانه وكلام رسوله عليه السلام.
أما (الأول) فلأنه الحق الأسمى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، كيف لا، وهو كلام الله سبحانه المعجز للبشر الدال على نبوة محمد عليه السلام.
وأما (الثاني) فلأنه كلام هذا النبي الأمي الأمين الكريم الناطق بكتاب الله تعالى، فهو لا ينطق إلا عن وحي، ولا يقول إلا عن صدق، (إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى)، وقد نعته سبحانه في محكم آياته (وإنك لعلي خلق عظيم).

فكل ما جاء عن هذين الطريقين فهو الحق الصراح الذي لا جدال فيه ولا مرية وكل ما جاء عن غير هذين الطريقين فهو عرضة للنقد والتقويم، والاستحسان والاستهجان، والتعديل والتجريح.

ولعل القارئ الحصيف قد وقف على ما أعنيه من هذه المقالة، وهو أن هذه الكلمات الحكيمة التي كان يفتتح بها هذا الصحابي الجليل مجالسه كان يقصد بها أمرا عظيما في مجال (التشريع الإسلامي) وهو العكوف على الكتاب والسنة.

أما الكتاب: فهو واضح ظاهر متفق على ألفاظه وترتيبه اتفاقا توفيقيا لا جدال فيه، وأما السنة: فينبغي أن تؤخذ بالتواتر عن الثقات الذين لا يتواطأون على الكذب على رسول الله.

وشئ آخر يجمل بنا أن نستخلصه من هذه الكلمات الصادقة الحكيمة وهو أن هذين المصدرين قد ارتفعا عن مقام النقد والتقويم والتعديل والتجريح، وأن ما سواهما ينبغي أن يخضع لميزان النقد، وأن نحكم فيه عقولنا وأن نزنه بميازين الكلام، حتى نميز سقيمه من صحيحه، وغثه من سمينه، وصريحه من مزيفه.

ونحن في إبان ذلك لا يهولنا أمر المتكلم مهما بلغت منزلته من المجتمع ومكانته من الناس، لأن المعنى عندنا هو الحقيقة، وكلمة الحتى، وليس شئ أكثر من هذا، ولو كان ذلك المتكلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لأن (الصحابة) رضي الله عنهم - مهما بلغوا من درجة العدالة والضبط والدقة في المحافظة على ألفاظ الرسول وعباداته - فإنه يجوز عليهم

ما يجوز على سائر البشر من حيث الخطأ والنسيان، فمنهم المعيب والمخطئ، و منهم صحيح الذاكرة والنساء ومنهم خالص القصد والعقيدة ومن في عقيدته دخل أو زيغ، ومنهم الجلة المقربون من حضرة الرسول الأعظم ومنهم المنافقون والخارجون عن الجماعة بنص القرآن.

(وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم (١).

وليس في ذلك ما يهولنا أو يزعزع عقيدتنا في الصحابة، أو يضعف من موقعنا من حملة لواء هذه الرسالة الكبرى، إذ ليس هناك جماعة ظهرت على وجهة الأرض إلا وفيها هذه الأنماط البشرية المختلفة، ابتداء من درجة العدل الثقة إلى درجة السفيه الوضاع والمناطق المارق، وذلك قدر أجمعت عليه (القرائن التاريخية) وأيدته (قوانين الاحصاء في دراسة الجماعات الإنسانية منذ آدم حتى اليوم إلا أن ناموس التطور في عقلية الجماعات الدينية وفي أساليب الدعوة إلى الله بلغت منتهاها في شخص محمد وصحبه فلم يكن هناك نبي جاء بأعظم مما جاء به، ولم تكن هناك جماعة أصدق عزما ولا أكثر عددا من جماعته فكان صلوات الله يمثل – حقا – نقطة الكمال فيما انتهت إليه الرسالات السماوية، كما في ذاته الشريفة، فهو سيد الأنبياء، وإمام المرسلين.. وكمال في دستوره وقرآنه لأنه جامع لما جاء قبله من شرائع.. وكمال في أصحابه لأنه كان بهم أكثر أولي العزم

----

١ – التوبة: الآية ١٠١

المرسلين تابعا (١) وفي ذلك يقول: صلوات الله عليه: ما من نبي
إلا وأعطى ما آمن به البشر إلا أنا، فقد أعطيت هذا القرآن وأرجو أن
أكون به أكثرهم تابعا.
ولكن هذا الكمال الذي عرف به أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يناقض أن
يكون
من بين الجماعة نفر أخلوا بما أمر به صلوات الله عليه من استمساك بأهداب
الشريعة واعتصام بما جاء به محمد من هدى.. كما أن ذلك في نفس الوقت
لا يمنع من أن نضع هذه الصفوة من الجماعة أو هذا الرعيل الأول من المسلمين
تحت نواميس النقد.
فهذه الصفوة لم تكن من نمط واحد من العدالة، كما أنها لم تسلم من الدخيل
عليها، ولا من التظاهر بالإسلام المخفي للكفر، على الرغم مما كان يهدف
إليه صلوات الله من هدية البشر جميعا، وما يرجوه من الوصول بهم إلى أسمى
درجات الهداية وأعلى منازل الصديقين.
وقد أشار الله في محكم آياته إلى ما كان يعتلج في صدر هذا الرسول
الأعظم من رغبة صادقة عنيفة في أخذ الناس جميعا إلى طريق الله، وميل
في السلوك بهم كل سبيل يحقق لهم معاني الهداية، بلا استثناء فرد واحد
من البشر.

----

١ - أولوا العزم من الرسل هم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد
وقد رتبهم الناطق وفق درجاتهم في قوله:
محمد إبراهيم وموسى كليمة * فعيسى فتوح هم أولوا العزم فاعلم.

وقد أشار الله إلى هذا الخلق العظيم في مواضع كثيرة فقال في موضع:
(فذكر إنه أنت مذكر لست عليهم بمسيطر (١) وقال في آخر:
(إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء (٢).
وقال في ثالث (فذكر إن نفعت الذكرى (٣). إلى عشرات الآيات التي تشير إلى إصرار هذا المصلح الأكبر، ورغبته الشديدة في هداية الناس جميعا، وإشفاقه عليهم من أن يسلكوا غير سبيل الهداية، وهو في هذا النهج القويم لا يرضى وواحد منهم خارج عن الجماعة.
وقد أثنى الله على رسوله فيما كان يهدف إليه من مثالية في الدعوة إلى الله، فقال عز من قائل: (وإنك لعلى خلق عظيم) وواساه فيما لم يتحقق له من هداية الناس جميعا، وفيما كان يرجوه من إنقاذهم من ضلال الكفر، وظلام الجهل بما قدمه له من قصص إخوانه الأنبياء والمرسلين في العصور السوالف وأن هذه سنة الله في خلقه، (ولن تجد لسنة الله تبديلا (٤)
كل هذا يدلنا دلالة قاطعة على أن جلال الإسلام في مبادئه ومثله وليس في أشخاصه، وأن جلال الإسلام لا يتأثر بالأشخاص مهما تواطأوا على تأييده أو تواطأوا على هدمه.

---

١ - الغاشية: الآية ٢١ و ٢١.
٢ - القصص الآية ٥٦.
٣ - الأعلى: الآية ٩.
٤ - الأحزاب: الآية ٦٢

أقول، ولو أهل الأرض جميعا ومثلهم معهم أجمعوا على حرب الإسلام ومناصبته العداء ما نقصوه شيئا من جلاله، ولو أن أهل الأرض جميعا ومثلهم معهم اعتنقوا مباديء ما زادوه جلالا على جلاله فسر هذا الإسلام في مبادئه المثالية، وسر هذه المبادئ مشخص في ذات المبادئ نفسها وليس في الأشخاص وهذه الفئة لا يدركها إلا الراسخون في العلم.

ومن ثم فإنه لا يضير الإسلام بحال من الأحوال أن يعرض الصحابة للنقد، وأن يتناول الباحثون أقوالهم وسير حياتهم وسلوكهم بالتفنيد والتحليل بل إن الإسلام الذي وضع مبادئ العدالة في الأحكام ومبادئ المساواة بين الأشخاص يبيح ذلك النقد وذلك التحليل، بل يحث عليه ويأمر به ما دام ذلك النقد قصد به السعي وراء الحقيقة والدعوة إلى الطريق السوي وما لنا نذهب بعيدا عن هذا الذي نقصد إليه ونتوخاه!!.

وقد رسم لنا المصلح الأكبر محمد عليه السلام هذا المنهاج العادل في الحكم على الناس جميعا، حين حثنا بطريق مباشر وغير مباشر أن نستمسك بكلمة الحق لذاتها دون مراعاة للأشخاص، وأن ننصر الحق وإن كان في جانب الضعيف الحقير، وأن نكيد للباطل وإن كان في جانب القوي العظيم، وأن لا نفرق بين الشريف والوضيع في تنفيذ حدود الله تعالى وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أن أسامة بن زيد – وهو حب رسول الله وابن حبه – استشفع عنده في امرأة من أشراف قريش سرقت، ولكن المصلح الأكبر أبى أن يعطل حكم الله فيها، وأرسل قالته المشهورة الخالدة:

(أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم، إنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف

تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها

وهكذا أبى محمد، مؤسس قواعد المثالية والعدالة والمساواة على وجه الأرض أن يعطل حدود الله من أجل هذه المرأة المخزومية مها بلغت من المكانة في نسبها والعزة في قومها

وكم أثنى رسول الله على جماعة من أصحابه غلب عليهم الضعف والوهن وأرهقهم الفقر وقلة ذات اليد، ولكنهم ارتفعوا بإيمانهم حتى جاوزوا عنان السماء بفضل إخلاصهم للدعوة وتفانيهم في حب صاحب الشريعة، وحب آله من بعده، منهم سلمان، وعمار، وأبو ذر، والمقداد

ولو كان هذا التفاضل يقوم على أساس العلو في النسب، والعزة في القبيلة، والكثرة في المال والبهرجة في المظاهر لما قال صلوات الله وسلامه عليه في حق سلمان الفارسي (سلمان منا أهل البيت (١) ذلك لأن نسب التقوى، وصلة الروح، ودرجة الإيمان تقطع ما دونها وتعلو على ما سواها من القيم.

---

١ - وجاء في صحيح مسلم أن أبا سفيان وهو شيخ قريش - أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: والله ما أخذ سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم - فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره قال يا أبا بكر: لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك
الحديث تجده في: صحيح مسلم ٧ / ١٧٢

وهكذا ألغى الرسول الأعظم الحواجز الطبقية بين الناس قبل أن يلغيها فلاسفة الاشتراكية بمئات السنين، وهكذا كان ينصر الضعيف التقي على القوي الجائر حين أرسى بين الناس ميزان العدل وجعلهم جميعا سواء أمام هذا الميزان وقد جاءت النصوص مبشرة بذلك في القرآن وفي الحديث القدسي، وفي الحديث النبوي فما جاء في القرآن:

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم (١)

وجاء في الحديث القدسي: (من أطاعني أدخلته الجنة ولو كان عبدا حبشيا ومن عصاني أدخلته النار ولو كان شريفا قرشيا).

ولا يكاد يوجد حديث نبوي إلا وفيه جانب من هذه المثل العادلة

وقد أشار الرسول في (أحاديث المغيبات) أن من أصحابه من سيسلك سلك الجادة، وأن منهم من سيحيد عنها، وأن منهم من سيبغى عليه، ويجار عليه، وأن منهم الباغي، والجائر: فخاطب بن ياسر رضي الله عنه:

(يا عمار ستقتلك الفئة الباغية).

وخاطب عليا: يا علي أتدري من أشقى الأولين والآخرين

قال الله ورسوله أعلم

----

١ - الحجر الآية ١٣.

قال: أشقى الأولين عاقر الناقة وأشقى الآخرين الذي يطعنك (١)
وفي هذا كله إشارة لا تقبل الجدل على أن أصحابه - من حيث التفاوت في الدرجات هم كسائر البشر، سواء منهم الألمعي الكامل، ومنهم الناقص الخارج، فضلا عن كونهم ليسوا سواء في صدق الصحبة ومراتب الدعوة أفبعد ذلك يتلمس المتلمسون دستورا أعظم من هذا الدستور يستندون عليه في جواز نقد الصحابة؟!
إن الصحابة والناس جميعا سواء في نظر هذا الدين الحنيف إنما يتفاضلون بالتقوى، وبمقدار ما أحرزوه من توفيق في تطبيق هذا المبادئ فالصحابي لا تتفق صحبة في شئ إذا لم يستمسك بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من شرائع
ومبادي ومثل عليا
والمعاصرون - أمثالنا - لا يضرهم في شئ بعد ما بينهم وبين رسول الإسلام من قرون وأزمان سحيقة إذا صح فهمهم لهذا المبادئ وصدقت عزيمتهم في الاستمساك بأهدابها السامية فكم من قريب وهو بعيد، وكم من بعيد وهو قريب!!
أقول: إنما مثلنا ومثل أصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم في الدعوة إلى الحق وفي وجوب تبليغ ما جاء به إلى الأجيال المتلاحقة - هو سواء نعم!
وليس للصحبة من منقبة أعظم من شرف المشاهدة لصاحب الشريعة والأخذ عنه ولكن ينبغي أن نعلم أن هذه الصحبة لها وجهان متميزان، فهي: نعمة عظمي، وحجة دامغة على صاحبها في آن واحد

---

١ - ابن قتيبة الإمام والسياسة ١ / ١١٩ طبعة القاهرة.

وأعني بذلك أنه لو كان لهذه الصحبة موضع شفاعة لصاحبها أو حصانة تنفى عنه التعرض للنقد، أو تصونه من محنة الامتحان والابتلاء والحكم عليه أو الحكم له، لما خاطب صلوات الله وسلامه عليه فاطمة الزهراء - وهي بضعة من جسده الشريف وسيدة نساء العالمين بلا مدافع - بقوله:
(يا فاطمة بنت رسول الله سليني بما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا... (١)
قال ذلك حين نزل قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين
نعم! إن المبادئ المثالية التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم في العدالة والمساواة تضع الناس جميعا في موضع واحد حينما تأخذ في تطبيق الأحكام عليهم
وبالأمس القريب خرج الأستاذ المحقق السيد مرتضى العسكري إلى العلماء والباحثين وهو حين يقدم هذا الكتاب إلى القراء إنما يعني بذلك صنفا معينا من القراء، وهم الخيرة الخالصة والنخبة الممتازة الذين تطمح نفوسهم إلى كلمة الحق خالصة نزيهة، وتشتاق أفئدتهم إلى تعمق التاريخ الإسلامي، والتبصر بتاريخ التشريع وهو حين يتجه إلى هذا البحث العميق يجد أمامه من النصوص في حياة السيدة عائشة مستندا راسخا يستند إليه ويدعم به آراءه، من حيث الدراسة الحرة التي تهدف إلى الحق وحده مهما كان ذلك الحق مرا عند قصار النظر وعند من أساءوا الحكم على الصحابة فجعلوا لكل طبقة منهم ميزانا خاصا في نقدهم والحكم عليهم، مع أن عدالة الأحكام التي

---

١ - صحيح مسلم ١ / ١٣ باب وأنذر عشيرتك الأقربين.

علمنا إياها إمام المرسلين تقتضي توحيد الميزان، وتقتضي توحيد وضع المحكومين عليهم أمام هذا الميزان

إن كلمات محمد الخالدات في المساواة والعدالة في الأقوال والأفعال تعتبر – في نظر المنهج العلمي الحديث – دستورا أصيلا نعتمد عليه في أبحاثنا العلمية حين ننقد الأشخاص، وحين نزن أقوالهم، فنتناسى إبان حكمنا عليهم مكانة الأشخاص مهما كانت مكانتهم، ونذكر الأقوال والأفعال وحدها مهما كانت شخصية صاحبها

وأعني بما أقوله – أن رسول الإسلام وخاتم النبيين علمنا – بطريق غير مباشر – أن نسلك في البحث العلمي جانب (الموضوعية) وأن نتجنب كل ما يمت إلى (الذاتية) في البحث علمنا صلوات الله عليه هذه الأصول العلمية وقررها في مجال البحث العلمي قبل أن يتشدق بها دعاة المذاهب التجريبية وفلاسفة العلوم الحديثة في أوروبا، وفي أمم الغرب قاطبة

والأستاذ العسكري في كتابه هذا يسلك سبيل الباحثين المعياريين والمقنين الذين يتناولون قضايا البحث العلمي في صورة منتظمة مستأتية رتيبة وقد أبان في صدر هذا الكتاب كثيرا من العقبات التي تعترض الباحثين وأخطرها انقياد الباحث إلى عواطفه حين يؤثر حزبا على حزب وشخصا على آخر كلما وجد في هذا أو ذاك هواه الشخصي، على حين يكون الحق بخلاف ذلك كذلك أفصح عن الحالات التي يكون فيها الباحث مغرضا في بحثه مستترا خلف: ستار لطيف يخفى وراء كلمة الحق وأكثر ما يكون ذلك عند الباحثين الذين يحاولون التوفيق بين رأيين متناقضين فالتوفيق من حيث الظاهر والمتبادر إلى العقول جميل، ولكن الحق لن يجتمع في رأيين متناقضين أبدا

وقد استطاع السيد العسكري أن يتخلص في بحثه هذا من العيوب التي تعترض سبيل الباحث العلمي فنظر في بحثه نظرة موضوعية مجردة عن الأشخاص وأقدارهم وعن جميع الغايات إلا غاية واحدة، وهي الحق لذاته، ومن ثم استطاع أن يترك العاطفة جانبا وأن يطرح الأهواء وراءه ظهريا، فالتزم في بحثه هذا حكم العقل وحده كما أنه تحرز من التعصب الأعمى، فلم يتعصب لرأي على رأي ولا لحزب على حزب، ولو كان في هذا الحزب مذهبه وليس جمال البحث في أنه وضع دستورا لهذا البحث، وإنما الجمال الحقيقي الذي يلفت نظر الباحثين ويستولي على إعجابهم فضلا عن تقديرهم - هو: أنه استطاع أن يطبق هذا الدستور تطبيقا عميقا في بحثه هذا، وأن يقف من أحاديث أم المؤمنين موقفا حازما يجلي الحقيقة في أبهى حللها حين آثر الحقائق على أقدار الأشخاص

وقديما لفت نظري وأنا أخرج كتابي (الإسراء والمعراج) في ضوء المنهج العلمي الحديث، أن ألتقي بحديث مروي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - تنفي فيه كون الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معا، وتصر على أنها كانا بالروح، وقد وافقها على هذا الرأي جماعة من الصحابة منهم معاوية ابن أبي سفيان (١) فكانت هذه عندي أول ثلمة داخلني فيها الشك في صحة بعض ما روي لنا عن أم المؤمنين من أحاديث فحفزني ذلك على أن أبحث عن بعض ما جاءنا من هذه الأحاديث، ولكن يأبى الله إلا أن ينفرد الأستاذ العسكري بنقد أحاديث أم المؤمنين عائشة وأن يتناول دراسة أسانيدها

---

١ - الدكتور حامد حفني داود (الإسراء والمعراج في ضوء المنهج العلمي الحديث ص ٣٦.

ومتونها في صورة علمية مفصلة، فأغناني فيما جاء به مئونة البحث المقنع حين سلك فيه المسلك الذي يرضى المنهج العلمي الحديث

وإن القرائن التاريخية لتدلنا على ما جاء في بعض أحاديثها من ضعف لا يداخلنا فيه الشك

فهذه الأحاديث التي تروى عن خلافة الشيخين دون التعرض لذكر على ينبغي أن نقف منها موقف الحذر الشديد والتثبت التام وكذلك الأحاديث التي تروى عن فضائل الشيخين وفضائل عثمان، وسيرة الإمام علي، لأنه – مما لا شك فيه – كان للعاطفة في هذا المجال دور خطير

فموقفها من أبي بكر موقف الابنة من والدها، كما أن موقفها من عمر موقف يختلف بكثير عن موقفها من على الذي يعتبر منافسا للشيخين

وفي خروجها على عثمان وتحريضها على قتله ثم مطالبتها بدمه والثأر له لون من التردد في الرأي يحملنا على الشك في أحاديثها عنه، وكذلك موقفها ضد علي ومساندتها لخصومه وانضمامها إلى طلحة وزبير والناكثين لعهدهما في موقعة الجمل فيه شئ كثير من التحامل على شخصية الإمام الورع، وفيه دعوة إلى التفرقة في صفوف الجماعة الإسلامية، وفيه تنفيس عن شئ في النفس، حتى أثر عنها أنها سجدت لله شكرا يوم انتهى إليها نبأ مقتل الإمام (١) ثم قالت متمثلة:

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر

----

١ – أبو الفرج الإصبهاني مقاتل الطالبين ص ٤٣.

(٢) السيد العسكري (أحاديث أم المؤمنين عائشة: ص ٢٠٣.

فكل حديث لها يمت إلى شئ من هذه الأحداث الكبرى يحب أن نقف منه في حذر شديد، وأن نقنع نفوسنا بكلمة الحق مجردة عن الأشخاص والأهواء

وقد يكون من حق الصحابة أن يخطئوا، فكل إنسان – كائنا من كان – من حقه أن يصيب وأن يخطئ في الأمور الظنية ما دام يجتهد اجتهاده الخاص ولكن ليس من حق الباحثين أن يلغوا عقولهم وتفكيرهم المنطقي، أو أن يتصاغروا أمام الشخصيات الكبرى فيخفوا كلمة الحق، وكذلك ليس من حقهم أن يضعوا اجتهاد المخطئ واجتهاد المصيب في درجة واحدة من القبول والامتناع، بل يجب علينا أن نتثبت من ذلك كل التثبت

لكل من بلغ درجة الاجتهاد وما دام كل مجتهد محاسب على اجتهاد، بين يدي الله سبحانه، ولكن الضائر حقا – في نظر المنهج العلمي الحديث – أن نقف نحن من علي وعائشة موقف المتحامل المغرض، وأن نضعهما في منزلة واحدة من العدالة، وأن نسوي بين من اجتهد وأصاب – وهو علي رضي الله عنه – وبين من اجتهد وأخطأ – وهو عائشة، أو معاوية، أو غيرهما من الصحابة المتحاملين على الإمام علي

لقد كان (رضي الله عنه) أمة وحده، لا لمحض كونه باب مدينة العلم، ولا لكونه وصي محمد عليه السلام، ولا لرزانة لسانه، أو قوة جنانه، وشجاعته في الحق، وإرسائه قواعد هذا الدين الحنيف ليس غير، ولكن لشئ خطير هو مناط ذلك كله، ألا وهو مراقبة الله سبحانه في جميع أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، حتى لقد كان يضيق على نفسه ويشق

عليها من أجل تحقيق المصلحة العامة للمسلمين وإيثاره دنياهم ومصلحتهم على ودنياه ومصلحته، ولو كان في ذلك أشد الضيق على نفسه

ولقد كان في خلافته مثلا أعلى، نزاهة في الطعمة، وعدالة في الأحكام عزوفا عن الدنيا

سعى غيره إلى الخلافة، وسعت الخلافة إليه، وآثر غيره مصلحة نفسه ومصلحة أقاربه، وآثر هو مصلحة المسلمين على نفسه وعلى أقاربه (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (١)

وتبجح غيره على فقراء الصحابة وعدولهم على حين ساواهم هو وأنزلهم منزلة النفس والولد، وليس أقل من أن يقال مزج غيره المصلحة العامة بالمصلحة الخاصة، ولكنه أبى أشد الإباء إلا أن يعمل للمصلحة العامة وحدها، متحرزا كل التحرز من أن يعمل أو يجتهد لمصلحته الشخصية

روى (ابن قتيبة في الإمامة والسياسة) أن عقيل بن أبي طالب قدم على أخيه (علي) بالكوفة

فقال له علي: مرحبا بك وأهلا، ما أقدمك يا أخي؟

قال: تأخر العطاء عنا، وغلا السعر ببلدنا، وركبنا دين عظيم، فجئت لتصلني

فقال علي: والله! ما لي ترى شيئا إلا عطائي فإذا خرج فهو لك

----

١ - الحشر: الآية ٩.

فقال عقيل: أشخوص من الحجاز إليك من أجل عطائك! وماذا يبلغ مني عطاؤك؟ وماذا يدفع من حاجاتي؟

فقال الإمام: الورع رضي الله عنه: هل تعلم لي ما لا غيره؟ أم تريد أن يحرقني الله في نار جهنم في صلتك بأموال المسلمين (١)

ولا شك أن عقيلا الذي لم يسعه عدل الإمام الورع ارتحل إلى معاوية الذي لا يميز بين الحلال والحرام، ويعتبر بيت المال وأموال المسلمين جميعا ملكا له وحده!!

فهذه صورة واضحة تدلنا مثالية (علي) في الورع وإيثاره المصلحة العامة على نفسه وأهله وأقاربه وهي – وأيم الله – مثالية لم يبلغ مبلغها أحد غيره من الصحابة، ولله دره حين كان يردد قالته المشهورة

(يا دنيا غري غيري)

ما أحسب صحابيا إلا وفي اجتهاده نظر إلا (عليا) فقد كان في اجتهاده أمة وحده أقول ذلك وأشهد به في كل ما عرض أمامه من الأحداث السياسية في الإسلام:

اجتهد عمر في الخلافة فألبس أبا بكر رداءها، واحتج لذلك بأنه أراد درء الفتنة، ثم تحمل مسئولياتها من بعده واعترف هو بهذا الذي صنع

---

١ – الدكتور حامد حفني داود مجلة الإسلام السنة ١٣ العدد ١٤ تنظيم الصدقة في الإسلام.

في أكثر من موضع (١) وحين عرض بعض الصحابة مبايعة ابنه عبد الله ابن عمر من بعده قال:
يحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمر أمة محمد
أما (علي) فإنه أقام الحجة على الشيخين حين كان منصرفا إلى ما هو أعظم من ذلك وهو تجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته فلزمت الحجة أبا بكر وعمر بما اجتهدا فيه دون علي، وصار (علي) صاحب حق فيما أخذ به دونهما
واجتهد (عبد الرحمن بن عوف) في انتخاب أحد الرجلين علي وعثمان للخلافة وذلك من بين الستة الذين اختارهم عمر، فقرأ علي على فعثمان نص العهد والميثاق، وبدا بعلي لعلة يعرفها اللماحون فقبل (علي) من العهد والميثاق ما تستطيعه طاقته البشرية بين يدي الله ورسوله وما تطمئن له نفسه وقبل عثمان نص العهد والميثاق بما تستطيبه نفسه وبما لا تستطيبه حتى لا تفلت الخلافة من يده
فكان (علي) - فيما ارتضاه لنفسه من ميثاق ابن عوف أحرص على الله ورسوله ومصلحة المسلمين من حرصه على منصب الخلافة، وكان (عثمان) أحرص على ذلك المنصب من حرصه ما سواه والله أعلم، إن كان على

---

١ - جاء في صحيح البخاري: كان بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها أنظر: صحيح البخاري ٢٠٨ نسخة السلطان عبد الحميد - المؤلف -

يقين مما ألزم به نفسه من حجة أو كان الأمر أدخل عليه إدخالا، فإن ذلك من أفعال القلوب التي ينبغي ألا نحكم عليها، ونكتفي منها بالظاهر دون الباطن
ومن ثم كان في اجتهاد (عبد الرحمن) و (عثمان) نظر على حين أصاب (علي في اجتهاده) لما خرج من ورطة إقامة الحجة على نفسه فيما هو الغيب من الأمور عنه
وأجهدت (عائشة) فأيدت (عثمان) ثم خرجت عليه فكان في اجتهادها نظر، بينما اطمأن (على إلى مبدئه بعد أن أقام الحجة على منافسه فلم يخرج على (عثمان خروج (عائشة) عليه
واجتهد (علي) بعد مقتل عثمان، فلم يقبل من طلحة والزبير المبايعة له إلا أمام الناس وبإجماع المسلمين في المسجد فقام وخطب الناس:
(إني قد كنت كارها لأمركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، ألا إن مفاتح مالكم معي ألا وإنه ليس لي أن آخذ من درهم دونكم،... ثم قال: أرضيتم؟ قالوا: نعم
قال: اللهم أشهد عليهم ثم قبل بيعتهم على ذلك (١)
وهكذا أقام (علي) الحجة عليهم، وأصاب فيما أجتهد فيه حين برأ منهم الذمة وأصبح مطلوبا لهذا الأمر لا طالبا له
فكل من خالفه بعد هذه الخطبة ناكث، وكل من حافظ على بيعته له مؤمن صادق الإيمان: وذلك اجتهاد لا يعادله اجتهاد صدقا وإخلاصا ونزاهة عما في بيت المال، وعما لي أيدي المسلمين

---

١ - ابن جرير الطبري تاريخ الأمم والملوك ٥ / ١٥٢ - ١٥٣.

ثم اجتهدت (عائشة) مرة ثانية حين طالبت بدم عثمان وخرجت في صحبة طلحة والزبير اللذين نكثا العهد، ونقضا البيعة لعلي، فأخطأت الاجتهاد حتى قيل أنها ما خرجت للمطالبة بدم عثمان إلا لتفرقة الجماعة الإسلامية حول علي، ولو كانت البيعة لغير علي ما خرجت وأصاب (علي) حين لم ينكث عهده ونكث هؤلاء عهودهم وأصاب حين دافع عن نفسه في موقعة الجمل لا باعتباره (عليا) بل باعتباره خليفة المسلمين والذائد عن حياض هذه الجماعة الإسلامية، ولو كان دفاعه لاعتبار في شخصه أو لهوى في نفسه لما رد أم المؤمنين إلى المدينة معززة مكرمة

فكان اجتهاد (عائشة) رضي الله عنها ثاني ثلمة حدثت في صرح الإسلام بعد اجتهاد عمر في توجيه الخلافة الإسلامية وليس الذي نقول بدعا من القول، أو ضربا من التحامل، وإنما هو حقائق مقرة أجمع عليها العدول من المجتهدين وثقات المؤرخين

وقد أحدث اجتهادها ضجة في نفوس أهل الحق ابتداءا من عصر الصحابة إلى يومنا هذا.

وما هي أم سلمة ضرتها، وأختها في الإسلام والعشرة والصحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترسل إليها كتابا حكيما تطلب إليها فيه العدول عن الخروج وتنهاها

عن الفرقة:

(من أم سلمة زوج النبي صل الله عليه وآل وسلم إلى عائشة أم المؤمنين

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو

أما بعد فقد هتكت سدة بين رسول الله صل الله عليه وآل وسلم وأمته، وحجابا ومضروبا

على حرمته، قد جمع القرآن ذيولك فلا تسحبيها، وسكن خفارتك فلا تبتذليها،
والله من وراء هذه الأمة، لو علم رسول الله صل الله عليه وآل وسلم أن النساء يحتملن
الجهاد
عهد إليك، أما علمت أنه قد نهاك عن الفراطة في الدين؟ فإن عمود الدين
لا يثبت بالنساء إن مال، ولا يرأب بهن إن انصدع جهاد النساء غض
الأطراف وضم الذيول وقصر الموادة، ما كنت قائلة لرسول الله صل الله عليه وآل
وسلم
لو عارضك ببعض هذه الفلوات ناصبة قلوصك قعودا من منهل إلى منهل؟
وغدا تردين على رسول الله صل الله عليه وآل وسلم وأقسم لو قيل لي: يا أم سلمة
ادخلي
الجنة لاستحييت أن ألقى رسول الله صل الله عليه وآل وسلم هاتكة حجابا ضربه علي،
فاجعليه
سترك، وقاعة البيت حصتك فإنك أنصح لهذه الأمة ما قعدت عن نصرتهم،
ولو أني حدثتك بحديث (١) سمعته من رسول الله صل الله عليه وآله لنهشت نهشي
الرقشاء
المطرقة والسلام) (٢)
فهذا النص برهان آخر على في اجتهاد عائشة من خطأ، وما في خروجها
من زعزعة وحدة الجماعة الإسلامية، فضلا عن أنها لم تجد فيما خرجت إليه
من يساندها في الخروج من أمهات المؤمنين
ثم اجتهد (معاوية) في المطالبة بدم عثمان، كما اجتهدت أم المؤمنين
من قبل، ولكن اجتهاده لم يكن لأجل مصلحة الجماعة الإسلامية، ولا

---

١ - يشير إلى قوله (ص): من أحاديث للمغيبات - وهو قول عائشة
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لنسائه: كأني بإحداكن قد تنبحها
كلاب الجواب وإياك أن تكوني أنت يا حميرا.
٢ - ابن عبد ربة العقد الفريد ٣ / ٩٦.

لأجل المعاني الإنسانية، وإنما ليجد من وراء ذلك القصد مطية رخيصة يصل بها إلى منصب الخلافة عنوة – فكان اجتهاده باطلا، وذلك أسوا مراتب الاجتهاد إن صح لنا أن نسمي ذلك النوع اجتهادا
وأصاب علي حين نبه الجماعة الإسلامية إلى بطلان معاوية في موقفه فأصاب وأصاب كل من انحاز إلى جماعته، على حين أساء معاوية إلى الجماعة الإسلامية وكذلك أساء كل من سلك مسلكه وورد مورده فما من محارب قتل في جيش علي رضي الله عنه دفاعا عن مثله ومبادئه إلا وهو شهيد مجتهدا كان أو مقادا، وما من محارب قتل في جيش معاوية دفاعا عن مزاعمه إلا وهو عاص مجتهدا كان أو مقلدا ذلك لأنه من الفئة الباغية التي قتلت عمار بن ياسر كما نص عليه الحديث النبوي
وقد جهل السطحيون من المسترقين والمحدثين فهم هذه المواقف الخالدة التي أصاب فيها (علي) مواطن الاجتهاد على حين أخطأها غيره، وذلك قدر لا حاجة لنا به إلى إماطة اللثام – في هذا المقام – وقد أفردنا له كتابنا (دحض مفتريات المستشرقين)، وما علم هؤلاء المستشرقون أن (عليا) يؤثر دينه على دنيا الناس، ويقدم مراقبة الخالق سبحانه على مجاملة المخلوقين
جهل هؤلاء السطحيون من المستشرقين وصغار الباحثين هذه المعاني العميقة السامية لأن السياسة في نظرهم هي انتهاز الفرصة التي تقوم على المخاتلة، والمؤاربة و الكذب، والنفاق والمد والجزر، والامتناع في موضع القبول، والقبول في موضع الامتناع، وهي عند الإمام الورع والمثالي الحجة شئ

---

(١) (دراسات في الخلافة الإسلامية)

أسمى من ذلك، هي مثل عليا، قوامها الكياسة والعقل، وأساسها المجاهرة بالحق، وهدفها المصلحة العامة للإنسانية جمعاء

أقول: إن مثل علي وخصومه مثل رجلين ارتفع الأول بروحه إلى كلمة الحق فآثر النور على الظلام والمثل الباقية على الماديات والمظاهر الخلابة الفانية، وانحدر الثاني إلى الأرض فلم يرق شيئا فحيم عليه الظلام وطغت عليه ماديات الحياة فتغير بتغيرها، وتلون بتلونها، وفنى بفنائها وشتان ما بين الرجلين، لا يستويان مثلا

فالأستاذ العسكري – كافأه الله على كلمة الحق – لا يبغي من وراء هذا البحث العلمي النزيه الدقيق أن يثير ثائرة المسلمين على عائشة رضي الله عنها على الرغم مما أخطأت فيه من اجتهاد – وإنما يرجو من وراء ذلك – خالصا لله وحده تصحيح المفاهيم والأوضاع التاريخية التي تحجرت في عقول كثير من الناس، فأخطأوا فهم الصحابة، ولم يميزوا بين الحق والباطل من الأقوال وجهلوا الكثير من دعائم التاريخ والتشريع الإسلامي، وهو يلتمس – جاهدا – من وراء ذلك أن يفهم الناس أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في ضوء في ضوء العلم وحده بعيدا عن العاطفة والحزبية والعصبية، وإنهم لو استطاعوا ذلك أو شيئا من ذلك ليسهل عليهم أن يدركوا سر الاختلاف مصنوعا، صنعه الحكام الذين كانوا يؤثرون حزبا على حزب، ويصنون ما شاؤوا أن يصنعون من الأحاديث من أجل تدعيم ملكهم وإقامة حزبهم، ولو كلفهم ذلك حمل بعض الصحافة على تحريف عن موضوع وتأويل ما جاء عن الرسول أو على الأصح انتحال الكذب على الصحابة والتقول باسمهم بكل ما يرونه فيه مؤيدا لأهوائهم، ومد عما لملكهم

وقبل أن أختم هذه الكلمة العلمية الخالصة لوجه الحق - أحب أن أهمس في أذن البحاثة الأستاذ العسكري - أن يجعل من هذه الدراسات العلمية أساسا متينا لما هو أعظيم من ذلك، وهو محاولة التقريب بين المذاهب الإسلامية في صورة يقرها العلم وتشفع لها الرابطة الإسلامية الموحدة وعساه بما جبل عليه من ميل للبحث، وصبر على الدرس - أن يحاول ذلك قريبا فلسنا نعرف فرقا جوهريا بين السني المنزه، والشيعي المعتدل ولا شك أن كلا منهما يزين صاحبه ويكمل ما عنده من نقص، ما دامت الغايات خالصة والأهداف واحدة، والله من وراء القصد

القاهرة في: ١٧ شوال سنة ١٣٨١ ه

١١ - الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

(١٥٦)

في هذا الكتاب يقدم لنا المؤلف الدكتور نوري جعفر عن عقيدة أخلصها وصفاها لمبادئ الإسلام - العديد من مساوئ بني أمية التي كانت ثلمة لا ترأب في صرح الإسلام المجيد وهي لا تزال إلى اليوم وهي وصمة تاريخهم منذ أمسكوا بزمام الحكم حتى سقطت دولتهم على يد العباسيين سنة ١٣٢ ه

وقيمة هذا الكتاب تتجلى في أن مؤلفه أضاف شيئا جديدا على الكاتبين في هذا الموضوع، ذلك أنه وثق كل ما جاء من مواقف بني أمية ضد مبادئ الإسلام السمحاء بالعديد من الروايات المبثوثة في المصادر والمراجع كما أتحف هوامش الكتاب بالكثير من تراجم الأعلام الذين ورد ذكرهم في ثنايا كتابه

لقد كتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - شيخ كتاب القرن الثالث الهجري - كما كتب غيره الكثير عن أخبار بني أمية وعن مساوئهم ومناوأتهم للبيت الهاشمي، ولكن الذي كتبه الجاحظ وغيره لا يعدو أن يكون من الرسائل المقتضبة، تناول فيها الجاحظ والمقريزي وغيرهما إبراز الصورة الفنية فيما كتبوا قبل أن يقدموا للقراء روايات مدعمة بالأدلة والبراهين ويشفعوا ما كتبوه بمقارنات تاريخية مدعمة بالمراجع التي استمدوا منها دراساتهم

فالصورة الفنية عند هؤلاء كانت هدفا في ذاته و من ثم كانت كتبهم لونا من ألوان الأدب قبل أن تكون مصدرا من مصادر التاريخ يصح الاعتماد عليه في كل شئ

تناول المؤلف في هذا الكتاب العديد من القضايا التي خرج فيها بنو أمية عن المثالية الإسلامية التي وضع الرسول أساسها وسار عليها الخلفاء الراشدون كل بقدر اجتهاده حتى بلغت في خلافة على القمة التي لا يعلوها قمة من أخلاقيات الإسلام ومبادئه وقيمة لولا أن هذا النهج المثالي الذي شرعه على وبرأ فيه نفسه عن ادعاء الكمال حينما أسندت إليه الخلافة سرعان ما هوجم من معسكر البغي والعدوان من بني أمية وأعوانهم

لقد تناول في كتابه الكثير من هذا الموقف المضاد الذي أحدثه الأمويون ضد الحكومة الراشدة، وزادوا عدوانا وعصيانا على عدوانهم وعصيانهم في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

وسبب واضح عند نقاد التاريخ

وهو أن بني حرب كانوا دائما في موقف مضاد لبني هاشم الذين كانت لهم الريادة والرفادة والسدانة للكعبة والبيت الحرام

وكانت لهاشم جد هذا البيت رحلتا: الشتاء والصيف وهما الرحلتان المذكورتان في سورة (قريش) وخص الله بهما بني هاشم قبل غيرهما فلما كان الإسلام تحول التنافس إلى عداء شديد لا يطاق

وسبب هذا العداء – كما هو معلوم أن الله أرسل نبيه من بني هاشم ولم سل من بني حرب جد الأمويين

ولئن كانت قريش تضم الأسرتين المتنافستين في الجاهلية والمتنازعتين

في الإسلام إلا أن العنجهية القرشية في آل هاشم تختلف كل الاختلاف عن العنجهية القرشية في آل حرب
فأخلاق الهاشمين أخلاق تعتمد على الإباء والنجدة والمروءة والسؤدد وازدادت في الإسلام حين بعث الله حبيبه محمدا كمالا على كمالها وارتقت أخلاقهم من مراتب النجدة والشجاعة إلى مراتب الايثار، ونكران الذات والعمل بما جاء من آداب المؤمنين في القرآن
فكان النبي ومن حوله من الهاشميين وفي مقدمتهم: الإمام علي مركز إشعاع لهذه الأخلاق الإسلامية
أما آل حرب فكانوا أقرب إلى النقيض من هذه الأخلاق على الرغم من كونهم أبناء عمهم ويجمعهم في النسب من قريش عبد مناف بن قصي والد هاشم جد هؤلاء السادة وأمية جد معاوية بن أبي سفيان
وقد ألمعنا السطور السابقة أن التنافس بين الأسرتين تحول إلى عداء مستحكم، ولكن هذا العداء لم يكن آتيا من الهاشميين وكيف يصدر عنهم؟ وهم: المتخلقون بأخلاق القرآن وفيهم سيد الأنبياء وعلي بن أبي طالب، ابن عم النبي، والعباس بن عبد المطلب عم النبي
وإنما كان مبعث هذا التنافر والتحدي محصورا في آل حرب (بني أمية) ذلك أنهم رأوا أن السؤدد والدين كله في ظاهره باطنه في الهاشميين وأن هؤلاء حملوهم الإسلام حملا وقد نالوا منهم في موقعة بدر فقتلوا الكبار من آل أمية كما قتلوا أبناءهم وأعمامهم
فتحول انتصار آل هاشم على آل أمية تحت راية الإسلام في موقعة بدر إلى كره عنيف وحقد دفين في قلوبهم

وتركز هذا البغض والعداء في رواسبهم النفسية، فكان ما كان من معداة للإمام علي في الصورة المؤلفة التي بسطتها كتب التاريخ
ومن هذا المنطلق العقائدي أو العقدي ولدت الفتن والملاحم بين الأسرتين القريشيتين
ولقد حاول المؤلف أن يفصح عن موقف الأمويين ضد مبادئ الإسلام، فأفاد في الكثير مما كتب.
وحق له أن يتحدث عن مساوئهم وعما عرفوا به من خيانة، وغدر بالقيم واقتراف للكثير من الجرائم الأخلاقية كالزنا ومعاقرة الخمر وارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن فضلا عن الاحتيال في الدين ونقض للعهود وكذب على الله وآل بيت نبيه، واستحلالهم للعن الإمام علي الذي فيه يقول الرسول:
من سب عليا فقد سبني ومن سبني فقد سب الله تعالى
استعرض المؤلف كل هذه الثغرات الأخلاقية التي تدين بني أمية وتضعهم في موضع غير كريم من تاريخ الإسلام إلا أني كنت أحب أن يفلسفه الخلاف بين الهاشميين والأمويين وأساس هذا الخلاف الذي تفاقم خطية في العهد الأموي أن الإمام علي ومن حوله ومن بعده من الهاشميين كانوا يمثلون المعسكر المثالي في الإسلام الذي يؤمن بالمثل والمبادئ والقيم وهو المبدأ الذي يؤثر فيه المثاليون القيم الإسلامية على حظوظ الدنيا بينما كان الأمويون يمثلون المعسكر الواقعي المتطرف الذي لا يرى الأشياء إلا بالمنظار المادي وأتباع هذا المعسكر يضحون بكل شئ من أجل الدنيا، ولا بأس عندهم من أن يبيعوا دينهم من أجل عرض زائل من الدنيا

ولا مانع في نظرهم أيضا من اصطناع الكذب والخيانة والرشوة وقتل النفسي التي حرم الله إلا بالحق ليصلوا إلى دنياهم بالطريق غير المشروع والتاريخ شاهد على هذه الآثام التي ارتكبت على حساب الدين
وهل هناك أفظع من التحايل على الإسلام حين رفع معاوية وعمرو وصحبهم المصاحف على الرماح بغيا للفتنة التي قال في شأنها الإمام علي:
(حق أريد به باطل)!
وهل هناك أفظع عند الله من تقديم الدنيا على القيم والعقيدة واصطناع الحيل كما فعل معاوية وعمرو؟ ثم ما أجرم فيه أصحاب معاوية من دس السم للإمام الحسن، ودس السم لمالك الأشتر وقول معاوية: إن لله جنودا من العسل مما لا تقره المروءة والنخوة الإسلامية ثم ما كان بعد ذلك من أهوال لا تطيقها الجبال من قتل ابن بنت رسول الله ظلما وعدوانا، وضرب يزيد للكعبة بالمنجنيق، واستحلال المدينة، إلى غير ذلك من الفظائع الأموية إلى غير ذلك مما أشار إليه المؤلف في كتابه.
أما الأحاديث التي أشار المؤلف إليها، وما ظنه أنه من الأحاديث التي صنعها بنو أمية للدفاع عن أغراضهم المادية، فإن الأمر في ذلك ينشطر إلى ثلاثة أقسام:
الأول: أحاديث تتعلق بالسياسة والثناء على بني أمية، والمبالغة في مناقب معاوية، فإن مثل هذه الأحاديث تستحق النظر وينبغي ألا يصدق شئ منها إلا في حالتين، الأولى صحة السند والثاني متابعته على غيره من الأحاديث وإلا كان موضع شك لا يحتمل.
الثاني: أحاديث جاءت في الغزو عند الدنيا وطاعة الرؤساء ولو كانوا من الظلمة فإن مثل هذه الأحاديث أصح من الأولى بلا جدال لسبب واحد

وهو أن هناك أحاديث كثيرة جاءت بهذا المعنى ولعل المراد منها هو:
إيثار وحدة المسلمين على انقسامهم في حالة خروج بعض الأمة على رؤسائها
وينبغي أن نكون على حذر في تكذيب مثل هذه الأحاديث، لأن
الانكار بالقلب على من خرج على أحكام الشرع من خاصة الأمة وعامتهم من
الأمور المأثورة في الدين ويؤيده حديث.. (من رأى منكم منكرا)
الثالث: الأحاديث المروية عن أبي هريرة هي في الحقيقة أصح من القسمين
السالفين، باعتبار أن أبا هريرة لم يكن طرفا في النزاع بين المعسكر المثالي الذي
يؤثر القيم والمعسكر الواقعي الذي يؤثر الدنيا والتحايل على كسبها، لأجل ذلك
أرى أن الحذر في تكذيب ما روي عن أبي هريرة أمر واجب
وهناك بعض أحاديث رواها قد يتصور بعض الناس أنها تتنافى والذوق العام
كحديث الذبابة، ومع ذلك فأنا أحكم بصدق روايتها عن النبي لأنه لا نستطيع
أن نقيس الأحاديث على ذوقنا الخاص فربما كانت هناك علل علمية وأسباب
كونية قد تخفى علينا اليوم ويثبت العلم صحتها في المستقبل، وقد حدث مثل
ذلك كثيرا، وبذلك يصح الحديث ويبطل قول المتقولين
هذه لفتة صغيرة لا أفرضها على المؤلف الفاضل ولكني أذكرها إتماما
للفائدة وإحقاقا للموضوعية التي يتعصب لها كل باحث
وبعد فإني أحمد للباحث هذا الجهد الكبير الذي أتحفنا به وأضاف فيه
جديدا على ما أورده أبو عثمان الجاحظ في رسالته، وما أشار إليه تقي الدين
أحمد المقريزي في كتابه: (النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم)

١٢ - تحت راية الحق
مناقشة موضوعية مع أحمد أمين في الإسلام

(١٦٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل ولتكن منكم أمة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
والقائل في محكم كتابه: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)
والصلاة والسلام على سيد الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم القائل
(من سب عليا فقد سبني ومن سبني فقد سب الله تعالى)، والناهي عن
التباغض والتشاحن في قوله:
(لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تنافسوا وكونوا عباد الله إخوانا)
وهو الذي شدد النكير على المفرقين بين أمته حيث قال: (وإياكم وذات
البين فإن ذات البين هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر وإنما تحلق الدين)
بهذا المنهج الإسلامي الذي وضعه القرآن والحديث أساسا لبناء المجتمع
الإسلامي السليم والشخصية الإسلامية السليمة نفتتح تصدير هذا الكتاب
فيما وقع فيه أحمد أمين من أخطاء علمية كانت سببا في إحداث هذا الصدع
في صرح الوحدة الإسلامية، في الوقت الذي يحتاج فيه المسلمون إلى العوامل
والحوافز المثبتة لكيانهم بما يشد عضدهم وينفي عناصر السخيمة والبغضاء التي
فرقت بينهم وأضعفت من وحدتهم
بالأمس البعيد - في عام ١٩٥٥ - وقبل أن أبدا الكتابة في التقريب بين
شقي أمة سيد الأنبياء والمرسلين كنت أخرجت كتابا تحت عنوان: مع أحمد
أمين: في فصول من كتابه: (فيض الخاطر)
تعرضت فيه - في إيجاز - لهذه الأخطاء التاريخية والعقيدية التي وقع
فيها أحمد أمين فريسة للأهواء والرأي بغير علم شوهت الكثير من وجه

ما كتبه في التاريخ والعقائد دون أن يهتدي بهدي المنهج العلمي الحديث فيما سجله ودونه

وعلة ذلك أن أحمد أمين خرج عن الخط الذي هئ له بعد تخرجه من مدرسة القضاء الشرعي وبعد أن عمل قاضيا في المحاكم الشرعية

حدث ذلك حين اتصل بالدكتور طه حسين، واشتغل بالتدريس في كلية الآداب في بدء نشأتها، ولقد اعترف أحمد أمين نفسه بهذا التعبير المفاجئ في مجرى حياته العلمية وعبر عن ذلك، فقد اصطدم ببيئة جديدة لم يألفها من قبل، تغاير كل المغيرة ببيئة مدرسة القضاء الشرعي في موادها ومناهجها، ومسلك طلابها كما تختلف كل الاختلاف في وسائل البحث وحرية الفكر

وكان الاحساس بالنقص سببا قويا في تلقف كل ما هو جديد يلمسه في الجامعة المصرية وكان صديقه طه حسين صديقه طه حسين في ذلك همزة الوصل التي ربطت بين

الأساليب القديمة والمناهج الحديثة

وهذا الجديد الذي أخذه أحمد أمين عن صديقه كثير جدا، لكن هذا الكثير يدور حول أربع نقاط رئيسية: منهج الشك في القديم، والصورة الفنية في الأسلوب، واستقصاء مادة البحث، وتطبيق المنهج العلمي في تناول الموضوعات

وقد نجح أحمد أمين في اثنتين من هذه النقاط، وأخفق في اثنتين

أما اللتان حققهما في أبحاثه ومؤلفاته فهما استقصاء مادة البحث، والصورة الفنية التي عالجها في مقالاته الأدبية.

وأما اللتان أخفق فيها منهج في دراسة النصوص، وتطبيق
المنهج العلمي في تناول الموضوعات
وسبب هذا الاخفاق في هاتين مرده أنه لم يمر بالتجربة التي مر بها صديقه
في صورة مكتملة وأنه كان ناقلا أكثر منه ممارسا أو محققا
ولا يعنينا في هذا المجال الرجوع إلى أصول هذه النقاط الأربع في مجال
مناهج البحث العلمي، لأن طه حسين نفسه الذي كان بمنزلة الوسيط في تطبيق
المناهج لم يكن مخترعا لشئ منها، بل وأكثر من ذلك لم يكن بمنزلة الوسيط في
تطبيق
المناهج لم يكن مخترعا لشئ منها، بل وأكثر من ذلك لم يكن شئ منها نابعا
من ذاته، إذا استثنينا (الصورة الفنية) في الأداء الأدبي التي جاءت إليه بفضل
الممارسة الطويلة ومعايشة التجربة الأدبية ومعنى ذلك:
أن طه حسين وإن كان يبدو أصيلا في الصورة الفنية إلا أنه مناهج
البحث كان على العكس من ذلك، يستعير في أكثر أبحاثه الأدبية أقوال
المستشرقين ثم يحاول بأسلوبه أن يخدع رقة دينه لأن الموضوعية في البحث العلمي
شئ
والدين والعقيدة شئ آخر.
ومهما يكن من أمر فإن مناهجه العلمية مستعارة منهم، وأكثر من
ذلك أنه كثيرا ما يستعير أقوال القدماء ونظرياتهم ثم يصوغها مصبوغة بصبغته
الأدبية ليبدو ذلك عند الأغرار وغير المعمقين أنها من نتاجه الفكري وهي
ليست أكثر من ثوب مستعار أخذه عن القدماء من رجال علوم الأدب
وهذا واضح فيما أفاده من نظرية الانتحال أخذ الكثير من أقوال
ابن سلام في (طبقات الشعراء)
وأقوال أبي عمرو بن العلاء فيما يدور حول كمية الشعر والنثر التي وصلت

الأمر الذي نرجوه في القريب العاجل أن نوضحه للباحثين في كتابنا:
(مع طه حسين: بين نظرياته المستعارة وآرائه النسبية)
وهكذا يتبين للقارئ أن كل ما جاء عن طه حسين من أحكام في مجال الأدب بعامة والشعر بخاصة إنما هو أحكام نسبية ليست قطعية الدلالة أو بمعنى آخر ليست أحكاما مطلقة يقاس عليها في نظر منهجنا العلمي الحديث
وإذا عرف القارئ ذلك عن طه حسين فإنه لا يعزب عليه أن يقف على تفاهة الأحكام العلمية التي أطلقها أحمد أمين في (فجر الإسلام وضحاه، وظهره)
فهو وإن كان ناقلا أمينا في نقل النصوص إلا أن نقله ليست له قيمة علمية ذات بال، حيث كان يجمع بين الآراء المتناقضة فيما ينقل دون أن يشير إلى موضع التناقض
فهو يستطيع أن يستقصي النصوص في الفكرة الواحدة من حياة الفكر الإسلامي ولكنه لا يستطيع أن يرتبها الترتيب التاريخي الدقيق، وإن استطاع أحيانا أن يرقبها الترتيب التاريخي الدقيق، فإنه لا يستطيع أن يرد المزيف منها أو يكشف عن المتناقضات أو يتعمق القرائن التاريخية
ومن هنا وقع في أخطاء كثيرة ولا سيما حاول في فجر الإسلام، دراسة المذاهب والعقائد، وحينما حاول أن يستعرض الأحزاب السياسية، والمذاهب الفقهية في الصدر الأول من الإسلام ومن هنا كان أكثر ما كتبه عن المذاهب الإسلامية - التي لها خطرها كالمعتزلة، والشيعة، والمرجئة، والخوارج تصور للقارئ الإسلامي مجموعة من المتناقضات التي لا تليق بباحث يحتل الصدر الأول من أساتذة الجامعة وقد كان في ذلك أشبه بحاطب ليل يجمع الدر إلى المخشلبة.

هذا بالإضافة لم يتعمق هذه المذاهب التعمق التاريخي، فلم يستطع
- من قبيل المثالي - أن يميز بين المخالفين؟ من الشيعة والمعتدلين منهم
فالإمامية والزيدية من المذاهب الشيعية المعتدلة يختلفون كل الاختلاف
عن الكيسانية والمؤلهة والحلولية من المذاهب المتطرفة
وأن إصدار الأحكام السريعة على المذاهب الإسلامية من حيث التكفير
أو التفسيق ليس بالأمر اليسير الذي يرسل فيه القول على عواهنه، بل هي
مسؤولية ضخمة للغاية، وحسابها من أشد الأمور عند الخالق سبحانه
وقد أبان لنا الرسول الأعظم صل الله عليه وآله في أكثر من موضع أن تكفير المسلم
كقتله سواء بسواء.
وما انتهى إليه علم المنهج العلمي الحديث - أنه لا يكفر في الصدر الأول
من الإسلام إلا صنفان من المذاهب وهما: المؤلهة والمكفرة ونعني بالمؤلهة
الذين ألهوا عليا، والمكفرة هم شذاذ الخوارج الذين كفروه
ولا يدخل في المؤلهة عبد الله بن سبأ المزعوم، فإنه أشبه بالشخصية
الخيالية التي وقع في تصورها الكثيرون من سذج المؤرخين كسيف بن عمر
التميمي ونسبوا إليه كل ما يسئ إلى طوائف الشيعة وقد أفصحنا عن
الكثير مما يمت إلى هذه الشخصية في مقدمتنا لكتاب: (عبد الله بن سبأ)
للمحقق الكبير السيد مرتضى العسكري
أما في العصر الحديث حتى هذه الفترة المعاصرة فلا نستطيع بحال أن
ندخل في دائرة الكفر غير طائفتين تنتسبان إلى الإسلام وليستا من الإسلام
في شئ، وهما: البهائية والقاديانية والأولى تنسب إلى الباب الذي ظهر في
إيران، والثانية ديانة صنعها الإنجليز في الهند تحريم على المسلمين ممارسة الجهاد
وتنسب إلى غلام أحمد القادياني.

فهل تحرى الأستاذ أحمد أمين هذه الأصول التي ذكرناها؟
وهل تورع في إصدار الأحكام على المعتدلين من طوائف الشيعة؟
وهل درس الإمامية كمذهب من المذاهب الشيعية الدراسة الدقيقة الممحصة التي تجنبه والوقوع في الخطأ وتحفظه من الغلو والزيغ في إصدار الأحكام؟
أظن الإجابة: لا، بالتأكيد
فهو في هذا – كما أشرنا في كتابنا: (مع أحمد أمين) الذي أصدرناه عام ١٩٥٥ م – لم يفرق التفرقة العلمية بين الإمامية والمؤلهة كما لم يفرق بين أئمة بيت النبوة من آل الحسين بن علي سلام الله عليهما وبين أتباعهم وشيعتهم بل أكثر من ذلك لم يميز التمييز الدقيق بين المعتدلين من هؤلاء الأتباع وبين المتعصبين الذين يتناولون عقائد غيرهم بألسنة حداد
وهكذا حدثت الفوضى في كتابات أستاذنا ولم تمنعنا أستاذيته أن نقول كلمة الحق لأن الحق جوهر باق أولى بالاتباع، والتلمذة عرض زائل لا ينفع في شئ إلا أن يكون الجوهر سليما مبرأ من العيوب والأخطاء.
ونحمد الله في – هذه المناسبة – أن الله حفظنا من نظام التبني الذي كان يرسمه بعض الأساتذة حين يختارون من تلاميذهم من يوافق أهواءهم أو يساير ركب المحسوبيات والشفاعات.
فلا إصر علينا في ذلك يحول بيننا وبين منطلق الحق، وقد حال الله بيننا وبين كل تبعية تربطنا بغير الله تعالى، كما حال بيننا وبين أن نحب من نحب إلا لله وأن نبغض من نبغض إلا له.

والرسول عليه السلام يقول: (أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله) وهذا الجوهر الإسلامي الأصيل في إصدار الأحكام هو عين ما يترنم به النقاد المعاصرون من عبارة: (النظرة الموضوعية) حين يصدرون أحكامهم في كل شئ

ولنتابع الآن القضايا الخطيرة التي تجنى فيها أحمد أمين على إخوة له في الإسلام.

فما هي؟ الحق أن أحمد أمين غمس يده في أكثر من قضية من القضايا العقدية في الإسلام

وليست هذه القضايا من قضايا الشيعة الإمامية وحدهم، بل بعضها يشترك فيه الشيعة، وأهل السنة كالقضايا المتعلقة بمنزلة الإمام علي ومكانته في الثقافة الإسلامية

والأخرى المتعلقة ببعض أصحاب الرسول عليه السلام

غمس أحمد أمين يده في قضية الشك في أصل الشيعة وما يزعمه - باطلا - من تأثر الشيعة بالنظم الساسانية، والنحل الفارسية: كالديصانية والمزدكية والمانوية، والأديان السماوية كاليهودية

وهي أقول هشة لا تعتمد على دليل، مادي أو بمعنى أصح لا تعتمد على حجج يقينية، ومن ثم فأحكامه شديدة البطلان لأنها تعتمد على سفاهات بعض المستشرقين أمثال: (دوزى)، (وجولد زيهر) ممن يكيدون للإسلام ويعملون على إحداث الفرقة بين صفوف المسلمين.

وكيف لا يكون ما نقوله هو الحق.

والإمامية وغيرهم من الشيعة المعتدلين ينفقون مع المذاهب الفقهية عند

أهل السنة في كونهم يشهدون لله، بالوحدانية ولمحمد بالرسالة ولا يخطئون جبريل فيما جاء به من وحي كما يزعم المبطلون من المتطرفين والمؤلهين.
وهم، وأهل السنة يتجهون إلى قبلة واحدة في الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصومون رمضان، ويوجبون الجهاد في سبيل الله
وما عيب الإمامية وغيرهم من معتدلي الشيعة إذا وجدت طوائف متطرفة آمنت بالتناسخ أو بحلول الجزء الإلهي مما لا يقول به أحد من المعتدلين
إن أمثال هذه المفتريات هي من باب إرسال الأحكام دون تدبر وإنصاف، وهي أكثر من ذلك تعتبر لونا من ألوان بذر الشقاق والفرقة وإحداث الصدع المدمر في صفوف المسلمين!! وما أقبحه عند الله من منكر ونهى عنه في محكم كتابه ونهى عنه نبي الإسلام وأسماه: ذات البين
كذلك غمس أحمد أمين يده في شخصية الإمام علي.
فمرة يعتبرها شخصية يصعب تصويرها.
وأخرى يدين بدين المتطرفين من المستشرقين في تحليل هذه الشخصية.
وثالثة ينكر كتاب: (سر العالمين) لحجة الإسلام الغزالي.
ورابعة ينكر بطولاته الخارقة في قتل عمرو بن عبد ود.
وخامسة في قتل مرحب بطل اليهود.
وسادسة يستعظم هو وأمثاله خلع على للباب الخيبري.
وسابعة يستعظم نسبة العلوم إليه.
ولو كان أحمد أمين من هؤلاء الذين لم يدرسوا علوم الدين في مدرسة القضاء الشرعي لأخذنا له بعض العذر في منهج الشك الذي حاول تطبيقه.
أما وإنه تخرج في مدرسة القضاء الشرعي فلا عذر له في هذا التطبيق

الأعمى، حين نسي أو تناسى أن منهج ديكارت إنما يطبق في التجارب المادية في معمل الطبيعة ومعمل الكيمياء وحين تكون التجربة المادية هي الفيصل أما قضايا الدين المتعلقة بالوحي فلما منهج آخر يعتمد على التجربة الروحية التي تنفق مع طبيعتها ومن ثم أصبح شكه حجة عليه لا له وخطأ آخر أشنع من الأول حين زعم أن كثرة المروى في مناقب الإمام علي دليل الوضع.

وقد جهل أن الحكام بعد عصر الراشدين وفي عصر الأمويين والعباسيين كانوا حربا على علي (رضي الله عنه) والبيت النبوي الأعلى فمن أين يكون الوضع وعيون الحكام مسلطة على شيعة هذا البيت الكريم؟!

فإن وجدت أحاديث المناقب بهذه الكثيرة الكاثرة وفي مثل هذه الظروف العصيبة كانت دليلا على صدق مناقبه يضاف إلى ذلك أن تواتر هذه الأحاديث في أسانيد مختلفة لا فرق بين كتب أهل السنة وكتب الشيعة دليل آخر على صدقها.

وأذكر أني أحصيت في مناقب هذا الإمام ما يزيد على مائة وعشرين حديثا على الرغم من أن اطلاعي لا يتجاوز عشر ما هو مطبوع من كتب الأحاديث والمناقب فكيف بي إذا تتبعت مناقبه في كل ما هو مطبوع من كتب الحديث والمناقب عند الطائفتين.

وكأني بأحمد أمين نسي أو تناسى هذا الحديث المشهور: (أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب) الذي ألف فيه المحدث المشهور (أحمد الصديقي الغماري المغربي) كتابا مفردا.

فأين علم أحمد أمين الذي تلقفه في مدرسة القضاء؟.

ومن الذي شككه في هذا التراث؟.

لا شئ سوى عقدة الشعور بعدم المعاصرة، وتطبيق المنهج الديكارتي
في غير موضعه الذي وضع له تقليدا لصديقه طه حسين، حين ذابت شخصية
المحب في المحبوب ولو كان ذلك على حساب العلم والموضوعية في النقد!
ولم يسلم الكثيرون من أصحاب رسول الله من غمزات أحمد أمين حين
غمس يده في شخصية أبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي رضي الله عنهما
وزعم لهما ما لم يزعماه وادعى عليهما ما هم براء منه.
فأما أبو ذر الغفاري فزعم له أنه تأثر بمزدك في الاتجاه الاشتراكي
مع أن المزدكية مذهب أباحي اشتراكي على النمط الفارسي واشتراكية
مزدك لا تقصر على المال بل تشمل المال والفروج وهو فهم شنيع الخطأ
في هذه الموازنة المفتعلة.
ومعاذ الله أن يكون قصد أبي ذر نابعا من مفاهيم مزدك الفارسي الذي
ظهر في عهد قباز ملك الفرس وأصحاب رسول الله إلا من استثناهم الرسول
صل الله عليه وآله هم من أهل اليقين الذي فيهم وفي أمثالهم يقول الرسول الأعظم:
(لم تعط أمة من اليقين ما أعطيت أمتي).
وأهل اليقين لا يتأثرون إلا بما جاء عن طريق الحق سبحانه وإنه
لافتراء شنيع أن يدعى على أبي ذر مثل هذه المقالة.
وقد كان من المقربين إلى قلب الرسول عليه السلام وفيه يقول:
(ويح أبي ذر يعيش وحيدا، ويموت وحيدا، ويبعث وحيدا).
وفي هذا إشارة إلى معاناة أبي ذر دعوة أهل الشام، وبني أمية،
ومعاوية إلى أدراء الزكاة وإعطاء الفقراء فضل أموالهم وفيه وفي أبي الدرداء
يقول أيضا:

(أبو الدرداء حكيم أمتي، وأبو ذر طريدها) وهذا الحديث وهو من أحاديث المغيبات يصور ما جرى لأبي ذر من جهاد في سبيل الحق

فما أعظم الفرية على خواص أصحاب رسول الله ولكن عقدة الاستشراق وعقدة الشعور بعدم المعاصرة، وعقدة التطلع إلى كل جديد ولو كان كفرا هي رأس كل مصيبة مني بها بعض الباحثين في أبحاثهم!!

ولو كان ذلك على حساب الدين والافتراء على أصحاب رسول الله!

إن أبا ذر الغفاري وأمثاله كسلمان وصهيب وعمار بن ياسر يمثلون الطبقة الثانية من أصحاب الرسول الأعظم ولا يكاد يتقدم عليهم من قلب رسول الله إلا أعضاء البيت النبوي (أهل الكساء) وهم من فقراء الصحابة الذين عاتب فيهم رسول الله أبا بكر وجاء في قوله: (إن كنت أغضبتهم يا أبا بكر فقد أغضبت ربك (١).

فما أسرع ما ذهب أبو بكر معتذرا لعمار وصحبه.

ولكن أحمد أمين وأمثاله من أدعياء علم الجرح والتعديل لا يكادون يوازنون بين الأحاديث ولا يكادون يستسيغون فن المتابعة الحديثية ليصلوا إلى بر السلام في البحث العلمي ويأمنوا فلتات اللسان، وعطب الأقلام، فمثلهم وبريق كل جديد من المفتريات والتخرصات مثل الفراش الذي يجذبه بريق النار فيهوى فيه لحتفه.

ونعوذ بالله من كل عجلة يعقبها ندم، ولا سيما نقد الرجال المتفق على صلاحهم وورعهم.

فماذا كان موقف أحمد أمين من سلمان الفارسي؟

---

١ - أنظر صحيح مسلم: ٧ / ١٧٣ طبعة صبيح بمصر.

لم يأبه أحمد أمين بسلمان (رضي الله عنه) مع أنه أورد له النصوص المروية من كبار الصاحبة في تفصيل علمه وورعه
فقد أورد فيه نص (الإمام علي) الدال على تضلعه في علوم الدين
كما أورد فيه نص معاذ بن جبل الأنصاري الذي اعتبر فيه سلمان أحد الأربعة الذين يؤخذ عنهم العلم، وهم:
ابن مسعود، وابن سلام، وسلمان الفارسي، وأبو الدرداء (١)
وقول (على) حين سئل عنه: أدرك العلم الأول والعلم الآخر، بحر لا ينزح قعره
وقد تواترت هذه النصوص في التاريخ كما اشتهر في شأنه حديث صحيح: (سلمان منا آل البيت) وحديث حسن (سلمان سابق فارس)
وإذا اختلفت أسانيد المناقب واتحد معناها دل ذلك على صحتها وبعدها عن الوضع
ولكن أحمد أمين يشك ليشك لا ليجعل من الشك وسيلة للوصول إلى اليقين
وأخيرا يشك في نسبه (نهج البلاغة) إلى الإمام علي وهو زعم خطأ ومهيع باطل بالدليل العقلي والدليل النقلي
أما الدليل العقلي الدال على ثبوت هذه النسبة أننا لا نشك في أن (نهج البلاغة) من الكلام الذي يمثل قمة في البلاغة والحكمة والجمع بين الرواية والدراية وأنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون كلاما قالته الجن ولا بد أن يكون قائله من عالم الإنس.

---

١ - فجر الإسلام ص ١٧٩ الطبعة الأولى.

وأن هذا الكلام لم يعرف قبل الإسلام فإذا هو من الأساليب النثرية البليغة في الإسلام

وأنه من المقطوع به أنه ليس قرآنا وليس حديثا نبويا فإذا هو كلام السابقين من الأمة

وأنه من المقطوع به أن الشريف الرضي لم يكن أبلغ من على، ولا يستطيع هو وأمثاله مهما بلغوا من البلاغة واللسن أن يصلوا إلى مستوى الإمام علي، كما أنه يدعيه الشريف الرضي لنفسه، فقد ثبت بداهة أنه كلام الإمام علي سلام الله عليه

هذا إذا أضفنا ما لعلي من حكم، وأمثال تسامق هذه الأسلوب وتوافق هذا النظم البليغ.

أما الدليل النقلي فقد أشار إليه مؤرخو الفكر الإسلامي، ومؤرخو الأدب العربي وأعلام الكتاب منهم:

عبد الحميد الكاتب الذي يقول فيه:

ما عرفت البلاغة إلا بحفظ كلام الأصلع

ومن المؤرخين ابن الأثير وسبط ابن الجوزي وقبلهما:

أبو القاسم البلخي في عصر المقتدر بالله العباسي

وإذا كان ابن أبي الحديد يؤيد ذلك فإن تأييده مستند إلى الحكم الموضوعي البعيد عن التحيز، والكذب لأنه لم يكن شيعيا كما وهم أحمد أمين وإنما هو عالم معتزلي فكرا وحنفي فقها ولا يربطه بالتشيع إلا خيط ضعيف وهو كونه معتزليا

فقد كان أكثر المعتزلة من تلاميذ السعادة الإمامية

الأمر الذي أوضحناه في مقدمتنا لكتاب: (عقائد الإمامية) للعلامة محمد رضا المظفر، وفيه أشرنا إلى أن المعتزلة هم تلاميذ الشيعة بخلاف ما وهم فيه دارسو الفلسفة في الجامعات، ذلك لأن واصل بن عطاء رأس المعتزلة كان تلميذا لا بي هاشم، وأبو هاشم كان تلميذا لوالده محمد بن الحنيفة وابن الحنيفة كان تلميذا لوالده الإمام علي (رضي الله عنه)

وبعد هذا الدليل القاطع يشك أحمد أمين ويتبع (هوى هوار) وصلاح الصفدي دون تمحيص ومتابعة ودراسة للقرائن التاريخية.

أما قول أحمد أمين بأن السجع في (نهج البلاغة) ينفي النسبة إلى الإمام على لأن السجع لم يكن موجودا في عصره، فهو قول يملأ النفس شعورا بالخجل حينما يصدر من أستاذ جامعي.

وكأن أحمد أمين لا يفرق بين السجع المطبوع الذي عرف منذ العصر الجاهلي في أساليب العربية وجاء في القرآن وبعض الأحاديث، والسجع المصنوع الذي ظهر في أساليب كتاب ديوان (المقتدر) ثم صار صناعة لها قدها في القرن الرابع على يد أبي الفضل بن العميد.

فسجع الإمام علي في (نهج البلاغة) إنما هو من النوع المطبوع ولو لم يكن السجع المطبوع موجودا في الجاهلية وصدر الإسلام لما قال جدنا صلوات الله عليه للصحابي الشاعر عبد الله بن رواحه

(إياك والسجع يا ابن رواحه)

والنهي عن الشئ دليل على وجوده

وكم لأحمد أمين من أخطاء أخجلتنا أمام رجال المذاهب الإسلامية باعتبارنا من تلاميذه (١)

----

١ - ومن طلب المزيد من الشرح والبسط فعليه بقراءة كتابنا: (مع طه حسين)

ولعله أخجلنا كثيرا – باعتباره أستاذا من بين أساتذتنا الأوائل في جامعة القاهرة: حين زعم أن الأساليب المنطقية المبثوثة في تراكيبه ليست من جنس أسلوب الإمام علي.
وكأن المنطق الإنساني من صنع أرستطاليس.
لقد ظلم الإمام بل وظلم أرسطو وظلم الفلسفة اليونانية بهذا الزعم.
إن أرستطاليس لم يصنع للمنطق إلا مصطلحانه!.
والمنطق وحسن التقسيم، والمقدمات، والنتائج كل ذلك موجود في سائر الأساليب العربية، موجود في القرآن، وموجود في أحاديث النبي عليه السلام ولو حاولت أن أشير إلى شواهد ذلك من أحاديث النبي لبلغ ذلك قدرا يربو على ألفي حديث للنبي عليه السلام وخذ لذلك مثلا موجزا من أوائل الأحاديث لتستدل على سوء فهم أحمد أمين للأساليب البليغة، كقوله عليه السلام:
ثلاثة لا يرد الله دعاءهم...
ثلاثة لا يريحون رائحة الجنة...
ثلاثة لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفا ولا عدلا...
ست خصال من الخير ست خصال من السحت...
ستة من كن فيه كان مؤمنا حقا...
سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...
سبعة لعنتهم وكل نبي مجاب...
ثمانية أبغض خليقة الله يوم القيامة...

إلى مئات الأحاديث من هذا الأسلوب المنطقي التقريري، الذي قدير بو
على الألفين من تراث النبي الأعظم الذي أزعم لك أنه يبلغ الألف ألف حديث
من أقواله عدا: الأفعال والتقريرات وهو ما ستتابع بعون الله نشره من تراث
النبي الأعظم صل الله عليه وآله.

فإذا جاء في (نهج البلاغة) شئ من ذلك فإنما هو من قبيل نهج التلميذ
(علي) لأستاذه (محمد) سيد الأنبياء صل الله عليه وآله

أما استهجانه للشيعة في قولهم: بالتقية فإنه مردود عقلا وشرعا

فأما عقلا: فإنه مقطوع به عند الناس وهو جزء من سلوك الإنسان حين
يباغته أعداؤه وهو من سياسة الإنسان ومداراته ليتقي شر العدو فيقول مضطرا
بغير ما يعتقد ليتخلص من ورطة الشدائد وشباك الغدر وحين ينجو وجب
عليه العودة إلى معتقده، وإلا كان منافقا وقد فعل ذلك في عصر النبوة عمار
ابن ياسر وأقره النبي على ذلك.

وأما شرعا فذلك ما يؤخذ من قول الله تعالى: إلا أن تتقوا منهم تقاة
وقول النبي عليه السلام: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)
والتقية إنما تكون حين يستكره المسلم ليخلص من عدوه

ومن هنا كانت التقية جزءا متفقا عليه في السلوك الإسلامي لا فرق بين
شيعي وسني

وأما تهكمه من قول الشيعة بالرجعة فهو قول من لا يتدبر القرآن الكريم
ويعرف معجزات السابقين من أتباع الأديان السماوية

وأين أحمد أمين من قصة العزيز، وأين هو من قصة أهل الكهف
وهناك الآيات القواطع ويكفي قول الله تعالى:
(أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال: كم لبثت قال: لبثت يوما أو بعض يوم قال: بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية الناس وانظر إلى العظام كيف نشرها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال: أعلم أن الله على كل شئ قدير)
فأحمد أمين حينما يقول: إن الرجعة جاءت من تأثر الشيعة باليهودية
فإنما يقول ذلك عن دخل في عقيدته
فإن قال بتأثر القرآن باليهودية فذلك هو الكفر الصريح ونعوذ بالله من قضية الجهل بأحكام الإسلام وقيمه ومبادئه فإن قلت:
إيها القارئ الكريم نحن نسلم معك في أن الرجعة كانت في الأمم القديمة بدليل الآية التي أوردتها فما دليلك على كونها ستكون في الإسلام؟ قلنا:
إن الدليل على ذلك يستقى من قول النبي عليه السلام:
(لتركبن سنن من قلبكم شبرا وذراعا بذراع حتى أو أن أحدهم دخل حجر ضب لدخلتم،) إلى آخر الحديث
فكل ما مرت به الأمم السابقة تمر به أمة سيد الأنبياء ولكأنها – على حد تعبير إخواننا علماء النفس – تلخيص للأطوار السابقة التي مرت بها الأمم ونحن لا نعجب من خطأ حدث من عالم يدعي العلم كعجبي من هذه الأخطاء

الساذجة التي وقع فيها أحمد أمين فأساء فيها إلى العلم وإلى تلاميذه، وكان سببا مباشرا في الدعوة إلى الفرقة والتحاسد، والتباغض، والكيد لوحدة الأمة في وقت نحن فيه في أشد الحاجة إلى توحيد الصف وبذل الجهود للاعتصام بهذا الدين القيم الذي لم يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفة
إن الإمامية مذهب من المذاهب الفقهية وهو أحد المذاهب الثمانية التي يعتبرها المنهج العلمي الحديث من المذاهب المعتدلة وهي:
الخليفة، والمالكية، والشافعية، والحنبلية، والجعفرية (الإمامية)
والظاهرية والأباضية والزيدية
وهي في نفس الوقت باعتبار انتسابها إلى الإمام جعفر الصادق - تعتبر أولى المذاهب الفقهية لأن أبا حنيفة ومالك كانا تلميذين للإمام الصادق وكان أبو حنيفة كثيرا ما يقول: لولا السنتان لهلك النعمان
هذا الخط الذي وقع فيه أحمد أمين يذكرني وأنا أكتب هذا التصدير بلقاء جمع بيني وبين العالم المجتهد أحمد شاكر في بيته - وقد كان بشارع المقريزي بمنشية البكري.
وكنت أهديت إليه كتابي: (مع أحمد أمين).
ثم دار حوار بيني وبينه حول كتابات: أحمد أمين في (فجر الإسلام)
فما كان من جواب العلامة أحمد شاكر إلا أن نطق بكلمة: أمي: كلمة واحدة رمز بها الشيخ الجليل إلى كل شئ ونوه بها عن كل شئ يتصل بقلم: أحمد أمين ويصور في نفس الوقت ضئالة شخصية العلمية في نفوس مجتهدي المذاهب الفقهية.
وأحمد شاكر وما أحمد شاكر وهو على مستوى من المسؤولية العلمية

بمكان عظيم سمعته أكثر من مرة وأنا أحاوره في مذهبه الفقهي الذي يقلده أو يراه موضعا للتقليد، فكان – رحمه الله – يأبى إلا أن يصور نفسه في درجة من الاجتهاد، وهي أقرب إلى درجة: (المجتهد المطلق) منه إلى درجة (مجتهد المذهب) التي عرف بها رجال الطبقة الثانية من الفقهاء

ومهما يكن من أمر فإن حكم الشيخ أحمد شاكر على (أحمد أمين) حكم له خطره في نظر – المنهج العلمي الحديث – وهو في نظرنا ثاني اثنين ختم بهما علم الجرح والتعديل

أولهما: أستاذنا الشيخ محمد زاهد الكوثري وكيل مشيخة الإسلام في تركيا ونزيل القاهرة

وقد كانت له مع أحمد أمين مواقف يذكرها له التشريع الإسلامي بالإجلال والإكبار حين كان يرصد قلمه للذب عن الشريعة وكان – رحمة الله – من الغيرة على الفقه الإسلامي والمعرفة بمواضع الخلاف بين الفقهاء في الوضع الذي يحله مكان المجتهدين في فقه أبي حنيفة

وقد كان هذان العالمان (١) من النفر القليل العارفين برجال المذاهب الفقهية المعدلين من هو أهل التعديل، في الوقت الذي فيه يعملان جاهدين على إحقاق الحق، وإبطال الباطل

وليس أدل على رسوخهما في الاجتهاد من قراءتهما الواسعة فيما جاء في المذهب الجعفري من أحكام.

ولعلنا نلحظ هذا الأثر واضحا ولا سيما كتابات: أحمد شاكر

---

١ – توفي الشيخ محمد زاهد الكوثري عام ١٣٧١ ه وتوفي الشيخ أحمد محمد شاكر عام ١٣٧٧ ه

واطلاعه على أقوال فقهاء الإمامية وكتابه (نظام الطلاق في الإسلام) أكبر شاهد عما نقول (١).
وآخر القضايا المهمة غمس فيها أحمد أمين يده هي قضية الإمامة وهي من أكبر القضايا التي المذهب الإمامي الجعفري عن المذاهب الأخرى فإذا قال الإمامية بأفضلية علي على أبي بكر وعمر فإن هذا القول لا يعد - كما يعتقد جهلاء الأمة - فسقا أو ضلالا أو خروجا على الشريعة وإنما هي مسألة اجتهادية لم يفطن لها أحمد أمين صورتها العلمية الدقيقة والإمامية في هذا القول مجتهدون لهم رأيهم ولهم نصوصهم من القرآن والسنة وفي مقدمة هذه الحجج التي يرونها موضع التفضيل وسبا مشروعا في أحقيقة التقديم في الخلافة آية التطهير:
(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وآية المباهلة:
(قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) إلى عشرات الآيات التي لا داعي للاسترسال فيها إيثارا للإيجاز في هذا التصدير
أما الأحاديث الدالة على أفضلية (على) و تقديمه على الشيخين في العلم والجهاد والمقاضاة بين الأمة، والزهد في الدنيا فهناك يتجاوز المائة حديث وأشهرها حديث المؤاخاة وحديث المنزلة وحديث الكساء وحديث غدير خم وهو نص جلي في إمامته بعد النبي عليه السلام.

----

١ - وكان للشيخ أحمد شاكر اتصال ومراسلة مع الإمام كاشف الغطاء أنظر أصل الشيعة وأصولها الطبعة العاشرة طبعة القاهرة عام ١٩٧٧ ه - الناشر -

فهذه المسألة هي موضع الخلاف الوحيد بين الإمامية وغيرهم من المذاهب الفقهية وقد كانت نظرة أحمد أمين فيها نظرة سطحية لم يشبع فيها بحثه في (فجر الإسلام) وظن أنها من شواذ قضاياهم، مع أنها محل نظر عند الراسخين في العلم من السنة والشيعة

فالسنة رأوا لا بأس من الاجتهاد مع وجود النص المسائل المتعلقة بالسياسة والحكم بخلاف العبادات، حين تدعو الظروف الواقعية المجبرة لذلك لعلل لا محل لسردها في هذه العجالة

والشيعة يرون أنه لا اجتهاد مع النص وأن الإمامة ليست من الشورى بل هي بنص صريح من النبي عليه السلام، والنبي أمر بتبليغها من قبل الحق سبحانه في قوله:

(يا أيها النبي بلغ ما أنزل إليك من ربك) والحق أننا لا نستطيع أن نسفه أحلام هؤلاء ولا هؤلاء لسببين جوهريين:

الأول: أن صاحب الحق وهو علي رضي الله عنه وأرضاه آثر الابقاء على وحدة الأمة على حقه المشروع في الخلافة حتى لا يتزعزع ركن الإسلام وتطل الفتنة من بين الصفوف فتقطع الحرث والنسل

الثاني: أن مخالفة النص نظر الشيعة على الرغم مما في ظاهره من هضم لحق (علي) فإنه لم يحدث صدعا في وحدة الأمة للسبب الأول الذي أشرنا إليه والدليل القطعي على ذلك أن الله أثنى على أمة نبيه وهو يعلم ما سيحدث من اختلاف وفتن فيها بقوله:

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)

وقول النبي عليه السلام:

لا تجتمع أمتي على ضلالة
وإذعان (على) والصفوة المخلصون من شيعته وفيهم العباس وسلمان الفارسي والزبير للواقع الذي حدث بعد السقيفة كان إجهازا على القطيعة وبترا للخلاف في الدنيا وإن كان ذلك في نظر - المنهج العلمي الحديث - لا يمنع من الحساب والسؤال عن جزئيات هذه الأحداث وكلياتها في الآخرة بين يدي الله تعالى
ولكن أكثر الباحثين يعجزون عن تدبر أعماق هذه القضية الكبرى
وثبر فلسفتها بين الشريعة والحقيقة
فكان منهم: من قصر نظرته على الجانب الواقعي فيها وهم: أهل السنة
ومنهم: من استولت على تفكيره النظرة المثالية في فهمها وهو: الشيعة
وقد حاول الإمامان الجليلان عبد الحسين شرف الدين والشيخ محمد سليم البشري في كتاب (المراجعات (١) توضيح نقطة الخلاف
ولكن (أحمد أمين) لم يطلع على شئ من هذه التفاصيل العلمية،
وأحدث بسبب ما أورده في (فجر الإسلام) صدعا بين شقي هذه الأمة
وما كان أغناه عن غمس يده في هذه القضايا
فأساء إلى نفسه كأستاذ باحث
وأساء إلى وحدة المسلمين بعد أن غم عليه الأمر حين أساء تطبيق المناهج العلمية
وسخر بفكره المستشرقون الذين لا يعنيهم إلا الدس للإسلام وصاحب الرسالة

---

١ - طبع هذا الكتاب الطعة السابقة عشرة منه في مطبعة دار المعلم بالسيدة زينب بمصر عام ١٩٧٧ م والطبعة التاسعة عشرة في مطبعة الحاج رشاد الكيلاني قرب باب الخلق بالقاهرة عام ١٩٧٨ م

وقبل أن أختم كلمتي أعتر ف بلسان المنهج العلمي الحديث – الذي لا يعنيه إلا النظرة الموضوعية في الأحكام أن العلامة عبد الله السبيتي قد أدى رسالة نحو إحقاق الحق وبذل الجهد وما في الوسع ليذب عن طائفة من الأمة – هو ينتمي إليها – طالما اقترف المفترقون في حقها ونسبوا إليها كل ما يسئ إلى الإنسان المسلم وادعوا عليها أقوالا مكفرة معاذ الله أن تكون من أخلاق الإمامية ومعتقداتهم، أو أخلاق إخوانهم أهل السنة ومعتقداتهم

ويكفي أن يكون الإمامية من معتنقي المذهب الجعفري (والمنسوب إلى جدنا الإمام جعفر بن محمد الصادق (رضي الله عنه) أحد المذاهب الفقهية الثمانية التي أشرنا إليها في هذا التصدير

كما لا أنسى في ذيل هذه الكلمة أن أحمد للأخ الفاضل السيد مرتضى الرضوي عنايته بنشر ما للإمامية من كتب قيمة سيكون لها الأثر الطيب في لم الشعث وتوطيد أواصر المحبة والإجهاز على الخلافات بين شقي أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم: وهو الأمر الذي ندعو إليه في كتاباتنا عن التقريب بين المذاهب الإسلامية منذ عام ١٩٥٥ م

والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل؟

١٣ - مع رجال الفكر
في القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم
الناشر الإمامي السيد: مرتضى الرضوي صاحب مكتبة النجاح من خيرة الناشرين الجامعين بين المعرفة بأساليب النشر والوقوف المكين على أنواع الثقافات الإسلامية ولذلك كان موفقا كل التوفيق حين خرج للقارئ المسلم بعامة والقارئ المصري السني بخاصة بكتابه القيم (مع رجال الفكر في القاهرة) وقيمة الكتاب تتجلى في هذا الحوار البناء بين الناشر وصفوة المفكرين في مصر تعرض فيه كلا الطرفين لما أثير حول الشيعة الإمامية من مزاعم تخرجهم عن دائرة العقيدة السليمة ومن ثم كان لهذا الكتاب الجليل رسالتان عظيمتان:
الرسالة الأولى: تبرئة الإمامية من المزاعم الكاذبة التي ألصقت بهم ظلما وعدوانا وكان لها خطرها في معارج التاريخ الإسلامي
الأمر الذي لا يرضاه المؤرخ المنصف، ولا يحبه دعاة الوئام والسلام

---

١ - من مؤلفات الدكتور حامد (الصاحب ابن عباد بعد ألف عام) رسالة الماجستير في الأدب العربي (الكتابة الديوانية في العراق) ورسالة الدكتوراه (الأدب العباسي، (المأساة الكبرى) (مع أحمد أمين) (مع طه حسين) وغيرها

والتقريب بين أطراف أمة سيد الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وهو القائل: - جزاه الله خيرا - ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصلاة، والصيام والصدقة والأمر المعروف، والنهي عن المنكر؟
قالوا: بلى يا رسول الله!
قال: صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين
وقديما كان الإمام الحسن بن علي عليها السلام فمن أدى هذه الرسالة في أسمى صورها الظاهرة والباطنة حيث أثر المصلحة العامة للمسلمين وحقن الدماء على مصلحته الشخصية (١) مع أنه كانت له الشرعية الكاملة في الخلافة
وفي هذا الموقف طبق بكل إخلاص قول جده عليه تحيات الله وبركاته:
إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين طائفتين من المسلمين

----

١ - لم يكن للإمام الحسن عليه السلام في الخلافة الإسلامية أية مصلحة شخصية بل كان عليه أن يؤدي رسالته ومسؤوليته حسب الظروف ومقتضيات المصلحة الإسلامية العامة - الناشر -

(٢) لم تثبت صحته عندنا وذكر الأستاذ العلامة الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه: (الشيعة والحاكمون) في الطبعة الثانية ص ٦٣ فقال: أما ما نسب إلى النبي (ص) من أنه قال مشير إلى الحسن: إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين) فهو من وضع الوضاع الذين استأجرهم معاوية الكذب والافتراء على الرسول أمثال: أبي هريرة وسمرة بن جندب، والغاية من وضعه التضليل والتمويه، وطمس الحديث المتواتر: (يا عمار تقتلك الفئة الباغية) وجعل معاوية ومن معه بمنزلة على ومن معه كلاهما من المسلمين انتهى

وهذا في نظر المنهج العلمي الحديث - الذي وضعنا أسسه - خير رد يدحض مزاعم المتعصبين لمذهب ضد مذهب، ويشد من أزرنا دعاة التقريب بين أطراف خير أمة أخرجت للناس

الرسالة الثانية: هي التنويه برجالات الفكر الأجلاء الذين يدعون إلى خير الأمة الإسلامية، ويؤثرون وحدة الصف الإسلامي ويقدمون ذلك على كل هدف سواه وهو نهج سليم من الناشر الكريم يستحق عليه التقدير والتكريم، فقد ترجم لهؤلاء الأفذاذ من مفكري مصر، وعرف قراء العربية والإسلام بحياتهم وآثارهم وأعمالهم الدينية والأدبية وما قدموه للقراء من خدمات جليلة في عالم الفكر الإسلامي.

وإني إذا أكتفي بهذه العجالة المقتضبة التي أصدر فيها انطباعاتي الخاصة عن هذا الكتاب القيم فإني أرجو للسيد مرتضى الرضوي أن يهبنا الله وإياه الإخلاص في القول والعمل، وأن ينزه ألسنتنا عن هجر القول وفحشه حتى يتم رأب هذا الصدع وإكمال هذا البناء من أجل رفعة شأن الإسلام والمسلمين مبرئين أنفسنا من التعصب والعصبية إلا ما كانت لله ورسوله من دعوة الحق والخير والله المستعان

القاهرة: في ٢٣ من شعبان ١٣٩٦ ه

الموافق ١٩ من أغسطس ١٩٨٦ م

تم بحمد الله